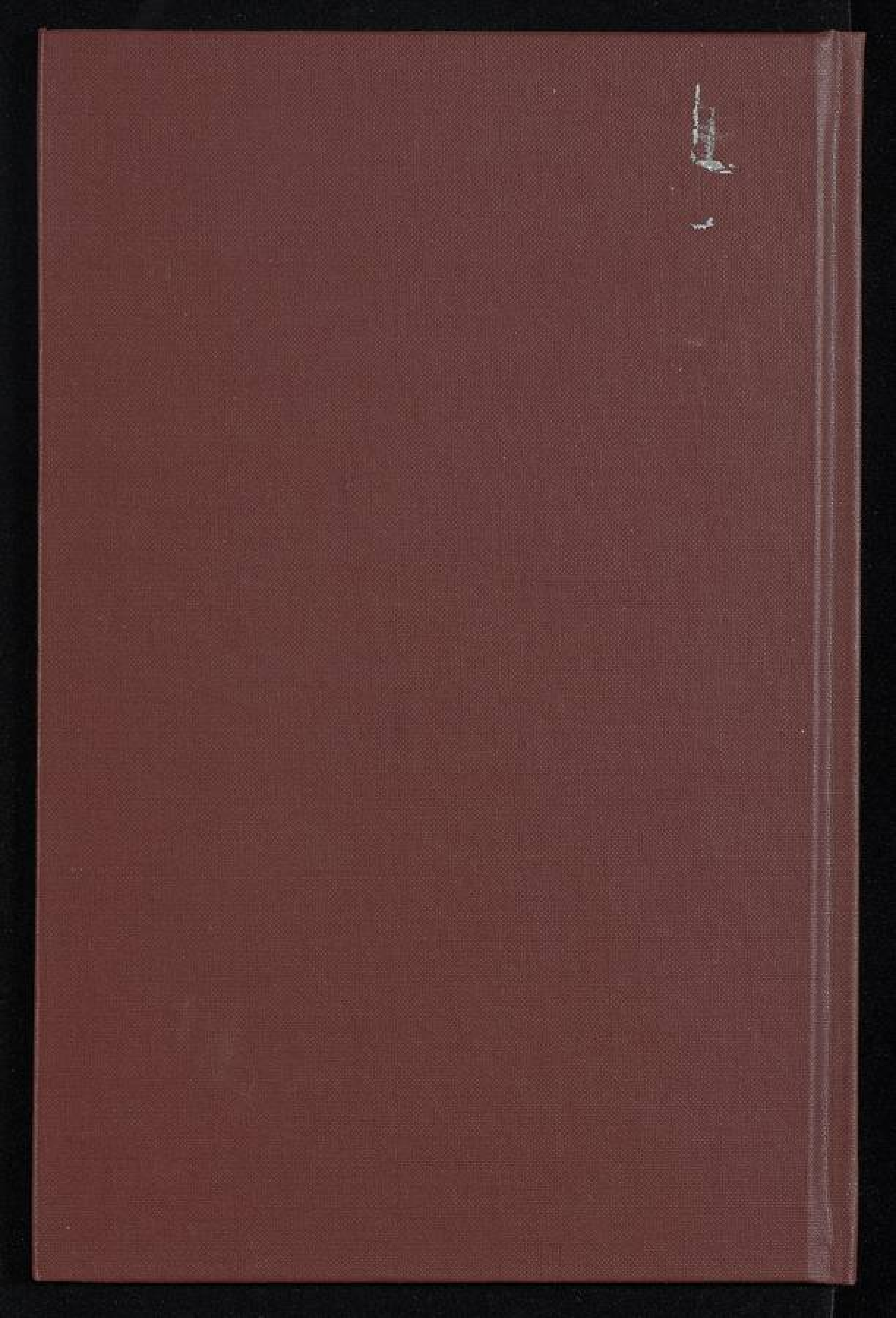
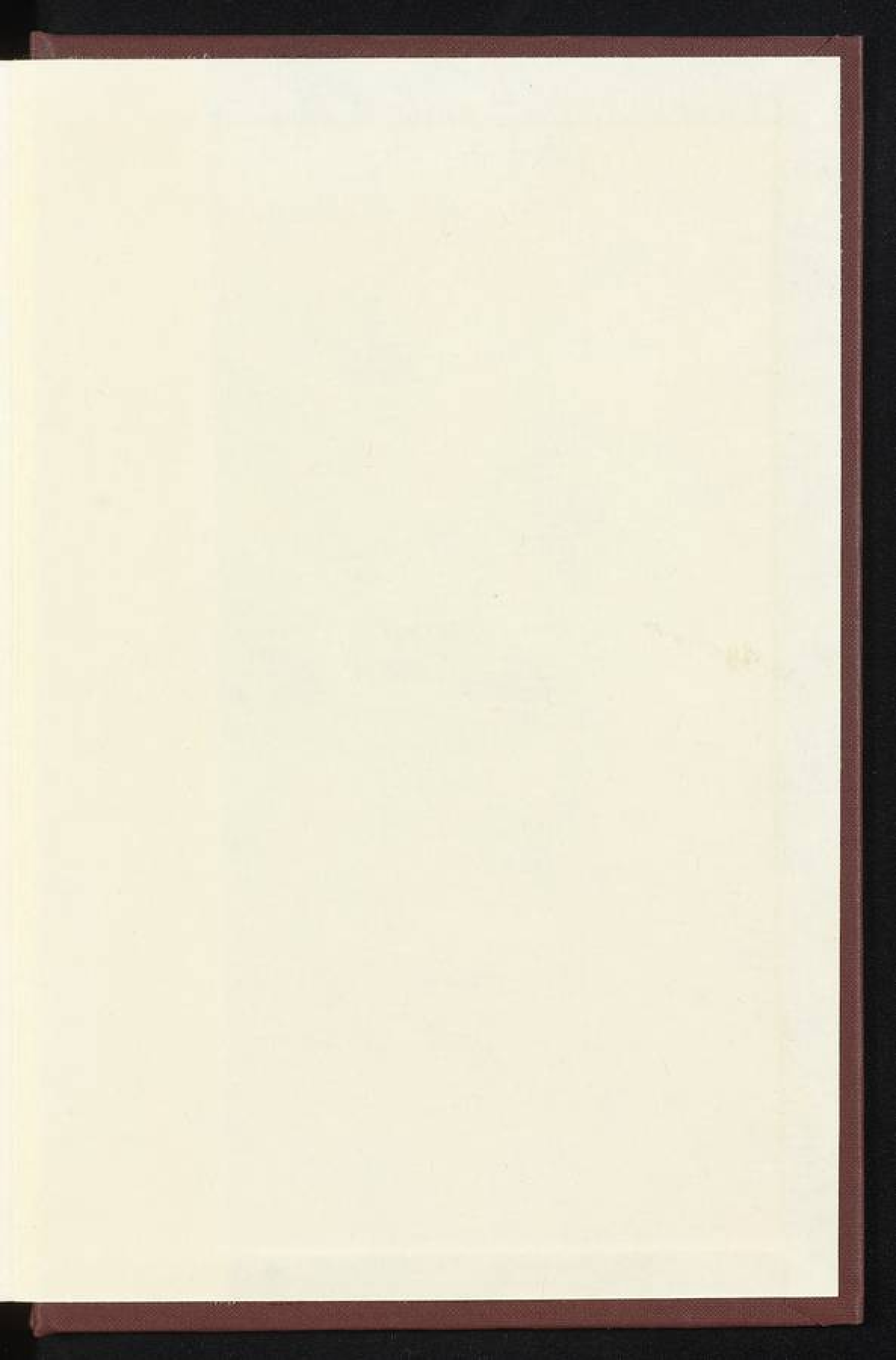
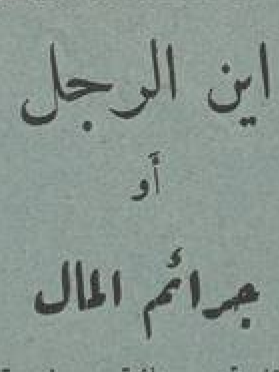





PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
32101 014100661





رواية غرامية * اجتماعية * جنائية * بوليسية * واقعية مصورة

جرت حوادثها في عمان عاصمة شرقي الاردن

بين سنة ١٩٢٨ و سنة ١٩٣٣

مؤلفها وناشرها

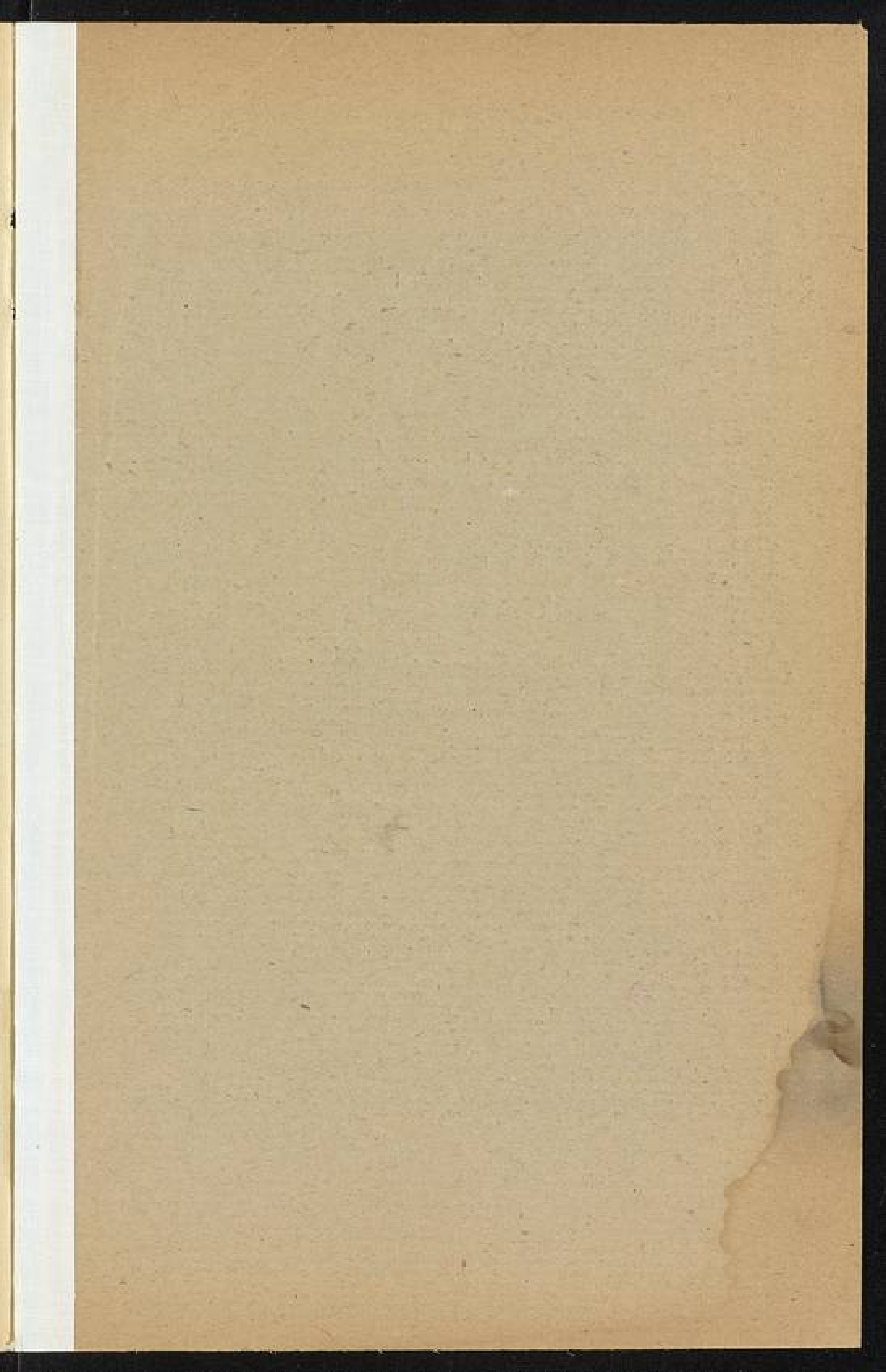
اديب رمضان

وهو الذي ضبط وقائعها بنفسه

الجزء الاول

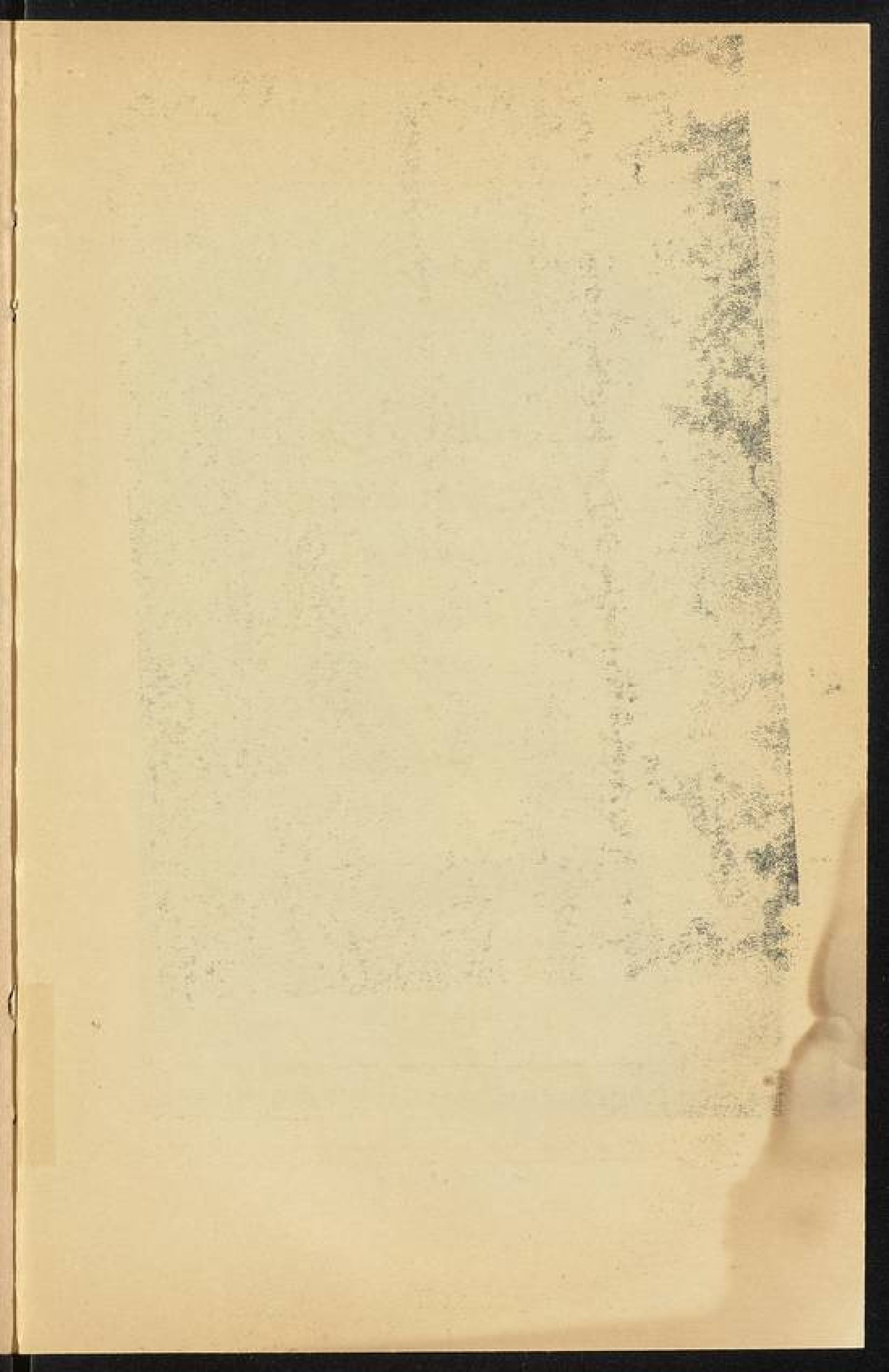
« الطبعة الثانية »

دار الطباعة العربية : دمشق باب البريد





خليل افندی رمضان



Ramadan

اين الرجل

أو

جرائم المال

رواية غرامية * اجتماعية * جنائية * بوليسية * واقعية مصورة

جرت حوادثها في عمان عاصمة شرقي الاردن

بين سنة ١٩٢٨ و سنة ١٩٣٣

مؤلفها وناشرها

اديب رمضان

وهو الذي ضبط وقائعها بنفسه

الجزء الاول

« الطبعة الثانية »

دار الطباعة العربية دمشق : سوق الحميدية باب البريد

بسم الله الرحمن الرحيم

— المقدمة —

تمتاز روايتنا هذه بكثرة عدد المجرمين الفرعيين الداخلين فيها ولم يكن من سبب يضطر هؤلاء الى الاجرام لولا المال . وتمتاز ايضا بالوسائل التي اتخذها المجرمون الاصليون لتضليلنا وحملنا على الاعتقاد بان لاجناية في الامر وما كان يتسنى لهم ان يتشبثوا بتلك الوسائل لولا المال وتمتاز بكثرة عدد الانصار الذين ايدوا الباطل ورغبوا في طمس الحقائق بعد ان عرفوها وما كان لهؤلاء ان يناصروا الباطل على الحق لولا المال .

ان الانسان مفطور على محبة الحق والعدل وتأييد المظلوم وكراهة الظالم وسوف يرى القارئ بأن الكثيرين من الشخصيات البارزة نصروا الظالم وأيدوه في ظلمه ورغبوا في حمايته من عقاب القوانين وكان بعض هؤلاء مندفعاً دون ان يتناول اجراً على عمله المنافي للدين والانسانية والمخالف لما فطر عليه الانسان ولو تعمقنا في تحليل الاسباب النفسية التي دفعت هؤلاء الى التطوع لحماية الظالمين لوجدنا ان السبب هو

ان الظالم من ذوي الجاه والمال · وتمتاز روايتنا هذه بانها رواية واقعيه ضبطت وقائعها بنفسي وكشفت اسرارها بعد جهود اترك تقديرها لجمهور القراء واذا كنت قد نشرتها بعد مرور بضعة سنوات على انتهاء حوادثها فقد اعتمدت على المفكرات المضبوطه مع التواريخ وان الكثير من حوادثها تؤيده الوثائق الرسمية او شهادات بعض الذوات الذين لايزالوا على قيد الحياة وما من سبب الجأني الى تأخير طبعها حتى الان سوى العجز عن تدارك مايلزم لهذا من المال · سيلاحظ القراء أنني اوجزت كثيراً في شرح الناحية الغراميه من الروايةوسيرى العارفون بخفايا هذه الناحية انني تغاضيت عن نشر بعض الحوادث الغراميةو كتمت صور بعض التحارير المحفوظة لدي وربما ظنوا بأن هذا ناشئ عن السهو او الاهمال مع ان هذا مخالف للواقع وانما تغاضيت وكتمت رغبة مني في صيانة الاعراض وعملا بقوله تعالى (واذا مروا باللغو مروا كراماً) ·

اديب رمضان





الفصل الاول

– الرقم ١٣ –

كنت جالساً في عمارة المسكوبيه في القدس مع صديقي كامل خليل افندي من رجال البوليس الفلسطيني و كان ذلك قبل الظهر بساعة تقريباً وبيدي احدى المجلات المصرية وبينما انا مشغول بقراءة نبذة مؤيدة بالوقائع الكثيرة عن شؤم الرقم ١٣ واذ بموزع البريد يناولني كتاباً عليه طابع بريد الحكومة الاردنية فناولت المجلة الى كامل افندي وقلت له اقرا ياصاحبي مافي هذه الصفحة عن اعتقادات الاوربيين والامريكيين بالفال وبالشؤم حتى في الارقام وأجبني هل تؤمن انت ايضاً بهذه الخرافات ؟

ناولته المجلة وفضضت الغلاف الذي استلمته من الموزع فاذا فيه الكتاب التالي :

قيـادة شرطة عمان

عدد

...

لحضرة السيد اديب رمضان المحترم ! اخذت كتـابكم المؤرخ ١٣/ — ٤ — ٩٢٩ وقد تأخرت بجوابي هذا متأملا اعلامكم محل وجوده قبل ان اجيبكم فلم امكن ذلك ·

ان اخيكم كان ضيفاً عند الشرطي عبد الرحيم محمود الذي يدعي بأن خليلا سافر من عمان بدون ان يعطيه معلومات وقد اخذ من بيته خمسون حلقـة مسدس « بدون معلوماته » ليسددهم الى مستودع الجيش عوضاً عن الذين فقدوا منه = ويدعي بانه لم يخبره حين سفره ·

وقد سألنا عنه من المدعو عبد السلام الغزاوي فلم يفدنا الحقيقة = حيث يظن باننا نعقبه لتحصيل الديون التي لم تزل بذمته الى بعض التجار = وقد افاد بأنه لم يزل يخابركم بخصوصه فهل يمكنكم ان تطلعوني على مآل اجوبته ؟

وقد بلغني انه يوجد لكم اخ او اقارب في سوريا اعلموني اسمائهم وفيما اذا خابرتموهم بخصوص اخيكم ·

يوجد له رفيق آخر اسمه خالد الششاني كان مستخـدماً في الجيش واخرج في المدة الاخيرة ويقطن بجهة السخنه ومن المحتمل وجوده عند المذكور

قد اجريت الترتيب اللازم البحث عنه في اماكن مختلفه وسأعلمكم النتيجة .

في ١٣ — ٥ — ٩١٩

قائد شرطة عمان

بهجت طباره

كان اول شيء استرعي انتباهي في جواب قائد الشرطة هو ان الرقم البغيض ١٣ كان في رأس كتابه ثم في ذيله ، وكانت حكايات المجلة المصرية عن شؤم هذا الرقم لاتزال ماثلة في مخيلتي وكان صديقي كامل افندي الجالس بجانبي لايزال يطالع في المجلة ويتبسم ابتسامات الساخر من المعتقدات الغريبة عند الامريكيين رغم الاشواط التي قطعوها في طريق التمدن الصحيح وبعد ان انتهى من قراءة الحكاية التي بالمجلة على المنضدة وقال :

انا من رأيك يا اديب لا اعتقد مطلقاً بالتفاؤل والتشاؤم ولا بشيء من الخرافات واذا كنت احب مصطفى كمال باشا فلانه حكم على شعبه بالاقلاع عن هذه المعتقدات الوهمية .

كان كامل افندي يقول هذا دون ان يشعر بما تأثرت به نفسي بعد مطالعة جواب قائد الشرطة ولم استطع ان اكتم عنه ماخامر نفسي فقلت :

— اذا كنت ياصاحبي لاتؤمن بالتشاؤم فانا اصبحت اميل الى الايمان به ابتداء من هذه الدقيقة . انظر الى هذا الكتاب الذي وصل

الي الان ولاحظ تاريخه وتاريخ الكتاب الذي هو جواباً عليه الا ترى ان الرقم لذي كنا بصدده موجود في اعلاه وفي اسفله —

ثم مددت يدي الى جيبي واخرجت منها جواباً وصل الي قبل يومين من حاكم مقاطعة القدس تاريخه ١٦ — ٥ — ٩٢٩ لمقابلته مع جواب عمان واذ بالحاكم يقول فيه :

الى حضرة اديب افندي رمضان المحترم !

جواباً على كتابكم المؤرخ / ١٣ مايس سنة ٩٢٩ احيطكم علماً بأنه قد ارسلت مخابرة الى حكومة شرقي الاردن بخصوص اخيكم « خليل » وعندما يرد الجواب سنعلمكم النتيجة والسلام ٠

عن حاكم مقاطعة القدس

روحي عبد الهادي

بعد ان تلوت نص هذا الجواب على كامل افندي واستلفتت نظره الى وجود الرقم ١٣ فيه ايضاً قلت :

! لم اكن قبل اليوم اعرف شيئاً عن شؤم هذا الرقم ولم يخطر ببالي بانني سأقرأ ماقرأته عنه في هذه المجلة وقد اتضح لي الان انني في يوم ١٣ نيسان كتبت لقائد شرطة عمان مستفسراً عن خليل وفي ١٣ من الشهر الذي يليه كتبت الى حاكم القدس كتاباً تأكيدياً بطلب الجواب من حكومة شرقي الاردن عما استفسرنا عنه سابقاً وفي هذا اليوم الذي

وصلتني فيه المجلة وصلني كتاب قائد الشرطة متوجاً ومذيلا بهذا الرقم فما هذا التصادف العجيب ؟ حيثما التفتت ارى هذا الرقم اللعين امامي فهل في هذا اشارة سماوية على انني لن ارى اخي خليل بعد الان ؟ هل مات خليل ام اصابته مصيبة ؟

لم يتمالك الصديق نفسه عن اظهار ضحكة ساخرة وقال :

صداقتي لك يا اديب ابتدأت من عهد الطفولة وماعرفت فيك ميلا الى السخافات الا في هذا اليوم فهل تبدلت امس لك عارض ؟

قال هذا وانصرف مودعاً عند ما حان وقت ذهابه الى الوظيفة فطردت الافكار الوهمية عن نفسي وابتدأت في تدقيق جواب قائد الشرطة وتحليله .

هو يقول في جوابه ان الشرطي عبد الرحيم محمود صديق خليل والذي كان خليل ضيفاً في بيته قبل اختفاءه يدعي بان خليلا سافر من بيته بدون معلوماته فهل يعقل ان يكون الانسان ضيفاً في دار احد اصدقائه ثم يسافر بدون ان يعلمه ؟ ..

ولكن المضيف يدعي انه اخذ من بيته وبدون علمه « اي سرق » خمسين طلقة مسدس !

اذن فالضيف قد سرق عتاد صديقه وهرب ! ..

كان ضميري يقول لي ان هذا محال فأخي لم يتعود السرقة وليس من طبعه خيانة الصديق وليس بمعسر حتى نقول انه اضطر لسرقة مضيفه فباستطاعته

شراء الفشك المفقود او دفع ثمنه لمستودع الجيش .

انني بيوم سفره من القدس لعمان قبل اختفائه باقل من اسبوع رأيت في محفظة نقوده رزمة من الاوراق المالية الفلسطينية قدرت انها تزيد عن المائة جنيه وقد قال لي بانه يملك في عمان قطيعاً من الماعز سوف يبيعها اذا استقال وان له امانة نقدية مع حسن خالد باشا رئيس الوزاره في عمان سوف يستردها ايضاً فهل يعقل ان يتنازل لسرقة خمسين طلقة مسدس من دار صديقه الحميم ؟

ارى ان هذا محال ! ولاجل كشف الحقيقة يجب علي ان استفهم من قائد الشرطة عما اذا كان الشرطي عبد الرحيم محمود قد ادعى بفقدان العتاد من بيته في الوقت الذي اختفى فيه اخي ام بعد ان سألته قيادة الشرطة عن اختفائه ؟

ثم يذكر قائد الشرطة في جوابه بان شخصا يدعى عبد السلام الغزاوي وهو من اصدقاء اخي « كما يتضح من نص الجواب » يكتم عن الشرطة محل وجوده لاعتقاده بانهم يتعقبونه لتحصيل الديون الباقية في ذمته الى بعض التجار في عمان فاذا صح انه مديون فمن المحتمل انه تعمد الاختفاء تخلصاً من ملاحقة الدائنين ومتى افترضنا هذا الامر فمن اللازم ان نفترض بان الدين كبيراً للحد الذي اضطر اخي ان يختفي ويترك محل وجوده مجهولا ولكن هل صحيح ان اخي مديون لبعض التجار ؟ وهل يعقل

ان تتكاثر الديون على شرطي عازب مرتبه يفيض عن احتياجاته ؟
وكيف يمكنني الايمان بانه مديون بعد ان رأيت محفظته ملآى بالاوراق المالية ؟

ثم من هو عبد السلام الغزاوي وكيف يقول لقائد الشرطة بانه خابرني بخصوص اخي خليل بعد اختفائه ؟ ولماذا لم تصلني تلك المخابرة المزعومة ؟

ويقول قائد الشرطة في كتابه انه من المحتمل وجود اخي عند صديقه خالد الششاني الذي يقطن بجهة السخنة !..

انني لم ازل اتذكر هذا الاسم فهو الرجل الذي كان اخي قال لي بأن محبوبته اختبأت في بيته حينما هربت من دار ابيها وظلت عنده الى ان دعاها اخي الى الذهاب لقصر الامير عبدالله . ولكن قرية السخنة لاتبعد عن عمان اكثر من ساعة في القطار فلماذا لم يحقق قائد الشرطة عن وجود اخي عند صديقه الششاني قبل ان يجيبني مع العلم بانه كتب جوابه بعد مرور شهر من وصول كتابي اليه ؟

ثم ماهي الاسباب التي استوجبت اختفاء اخي عنده في السخنة ؟.
هل اتفق مرة اخرى مع محبوبته ان تأتيه الى السخنة فيهرب بها من اراضي الاردن ؟

اذن فأخي لم يكن مخلصاً في قوله لي عندما قال بأنه صرف النظر

عن التفكير بها وبحبها المشؤم لانه بعد الاختبار فهم بان قلبها قلاب لايثبت على هدف واحد . اذا كان اخي كان يخدعني عند ماقال هذا القول خوفاً من اللوم والتأنيب ثمن واجبي احول دون تنفيذ فكرته ! . .

ولكن هل ان افتراضي هـذا صحيح ؟ وهـل يجوز ان يبنى الافتراض على الافتراض ؟ . . .

وفي جميع الاحوال التي ذكرها قائد الشرطـة في جوابه لايوجد مايبرر توقف اخي خليل عن مخـابرتي ومخابرة اخيـه الذي في الشام ! .

بعد ان غرقت في مثل هذه الافكار والافتراضات مدة لاتقل عن ساعة تناولت القلم وكتبت لقائد شرطة عمان مايلي :

اليوم تشرفت بوصول كتابكم المؤرخ / ١٣ / ٥ / ٩٢٩ وجواباً عليه اقول :

١ = انني قبل ان كلفتكم بالبحث عن اخي خليل كتبت لصديقه الشرطي عبد الرحيم محمود بضعة تحارير وطلبت اليـه أن يخبرني عن شيء مما اخبركم به فلم يجبني على الاطلاق ، وليس من المعقول ان يرحل اخي من داره ولا يعلمه وهـذا مما يستدعي الانتباه ويستوجب التعمق في التحقيق فارجوا ان لاتقبلوا امثال هذا الكلام كقضيـة مسلمة .

٢ – عبد السلام الغزاي لاعرفه ولم يخابرني كما زعم

٣ – يهمني ان اعرف التجار الذين لهم ديون بذمـة اخي و كم هي ديونهم فتكرموا باعلامي عن ذلك .

٤ – ان لنا اخ في دمشق اسمه شوكت رمضان يشتغل بكتـابة الاستدعاآت في بناية العابد وقد خابرته مراراً بشأن اختفاء الاخ خليل فاجابني بانه لم يحضر الى دمشق و كلفني بان ابحث عنه ...

ثم يمكنكم الاستعلام من قلم الپساپورطات ومن شرطة القطـار ومن مخافر الحدود عما اذا كان قد سافر لجهة ما !

وعلى كل حال اكرر استلفات نظركم الى احتمال حدوث جناية من طرف البلابسه نتج عنها اختفائه الفجائي وقضية ابنتهم ليست مجهولة لدى دائرتكم ، انتظر جوابكم وارجوا قبول فائق احتراماتي سيدي

/ ٢٤ / ٥ / ٩٢٩ اديب رمضان

....

عبثاً انتظرت جواب هـذا الكتـاب فأن قائد شرطه عمان قطع المخابرة عني رغم الحاحي بطلب الجواب بارسال بضعة تحارير اليـه والى عبد القادر الجندي مساعد قيادة الجيش للامن العام ولقائد الجيش بالذات فحملت عدم الاجابه على الاهمال وقلة الاكتراث ودفعت عن نفسي سوء الظن اتباعاً لما ورد في القرآن الكريم « ان بعض الظن اثم » .

وفي الثاني من حزيران سنة ٩٢٩ تلقيت بواسطة البريد جوابا من الصديق الشرطي السيد حافظ مرشد وهو غزي الموطن وموظف في شرطة عمان يقول فيه بعد المقدمة :

وصلني خطابك بخصوص اخيكم خليل افندي فأقول :

انه كان منذ شهرين استحصل على مأذونية وتوجه لفلسطين وحين رجوعه طلب الاقالة من الجيش العربي واستحصل عليها ومكث في عمان مدة لاتزيد عن خمسة ايام و كان يوميا صباحا ومساء يحضر لعندي في البيت الذي انا مستأجره ومن ثم لم اره وبعد الاستفسار من بعض اصدقائه اجابو ان خليل سافر لجهه فلسطين وعند ماسمعت الخبر تأثرت منه وقلت في نفسي كيف يسافر ولم يواجهني رغم ان بيننا موعد لانني كنت اريد ان ابعث معه امانة الى والدي في غزه وقد قبل ان يحملها لوالدي ·

ومنذ امد قريب كانت قيادة الجيش اعلنت واعطت امراً للاستفسار عنه وذكرت في امرها ان الشرطي خليل اسعد رمضان الذي اوصد قيده من الجيش مفقود فيلزم التحري والبحث عنه واعلام مركز القيادة ···

ياصديقي ! ان اخيكم خليل لم يخرج من شرقي الاردن بل لم يخرج من نفس عمان قطعاً فيلزم منكم مخابرة الحكومة بهذا الشأن وان امكنكم الحضور لطرفنا ولو يومين لتنظروا الاخبار وتبحثوا عنه الى ان يظهر لكم اخيكم ·

ان قيادة الجيش سألت عنه من كافة انحاء الاماره فلم تعثر له على اثر .

اخوك

٩٢٩/٥/٢٩/

حافظ مرشد

بمركز الشرطة بعمان

ازدادت الريبة في نفسي بعد قراءة هذا الجواب المتضمن غمزات وتلميحات هي اقرب الى التصريح ! ان اخيكم خليل لم يخرج من شرقي الاردن بل لم يخرج من نفس عمان قطعاً ! ماذا يعني صديقنا حافظ بهذه الجملة ؟

انها صريحة المعنى ! الرجل مقتنع بأن في الامر جناية وقعت في نفس عمان ، ثم يقول ان امكنكم الحضور ولو يومين لتنظروا الاخبار !

يظهر ان هناك اخباراً متواترة عن اختفاء اخي وهو يريد مني الحضور لعمان لمعرفة هذه الاخبار ! ان المسافة بين عمان والقدس قريبة وبودي ان اذهب لعمان لابحث عن اخي بنفسي لولا ان هناك سبباً يحملني على التريث والتفكير قبل السفر ، انني اعتقد بان الامير لم ينس اسم اديب رمضان ولم ينس المنشور الذي اذيع في جريدة الاهرام في سنة ٩٢٤ بتوقيع « اديب رمضان الرئيس المستقيل من الجيش الحجازي » تحت عنوان « الى اهل فلسطين — انقذوا ابناء كم» والذي نقلته اكثر الجرائد العربية

وترجمته عدة صحف اجنبية حتى اضطر الامير الى الرد عليه في جريدة المقطم بصورة رسمية وبتوقيع محمد الانسي رئيس ديوان الامارة وكانت النتيجة من اذاعة ذاك المنشور ان عرف الناس بان حكومة الملك علي لم تعد اهلا للبقاء في جدة بعد ان تطوع الحجازيون لمحاربتها في صفوف ابن السعود واثبتوا نفرتهم من الحكم السابق وتعلقهم بالملك ابن السعود الذي اذاقهم لذة العدل والحرية الصحيحة ضمن دائرة الشريعة الاسلامية الغراء كما ان جميع الناس عرفوا بعد اذاعة المنشور المشار اليه وبعد قراءة المقالات التي نشرتها جريدة السياسة وجريدة ابابيل وجريدة الاقبال بتوقيع «اديب رمضان» عن حكومة الملك علي التي راحت تفاوض احدى الدول الاستعمارية على تسليمها مرفأ جدة وجمار كها لمدة طويلة لقاء مبلغ من المال وكمية من المتطوعين الافريقيين لتحارب بهم جيوش ابن السعود وعن تسليم معان والعقبة الحجازيتين للدولة البريطانية بدلا من تركهما لابن السعود وكانت النتيجة من نشر تلك المقالات ان الكثيرين من العرب والمسلمين الذين كانوا يناصروا حكومة الملك علي بتأثير الدعايات المضللة توقفوا عن نصرتها بعد ان علموا بانها قد رجحت تسليم مفتاح البلاد المقدسة الى دولة اجنبية عن تسليمها لابن السعود !

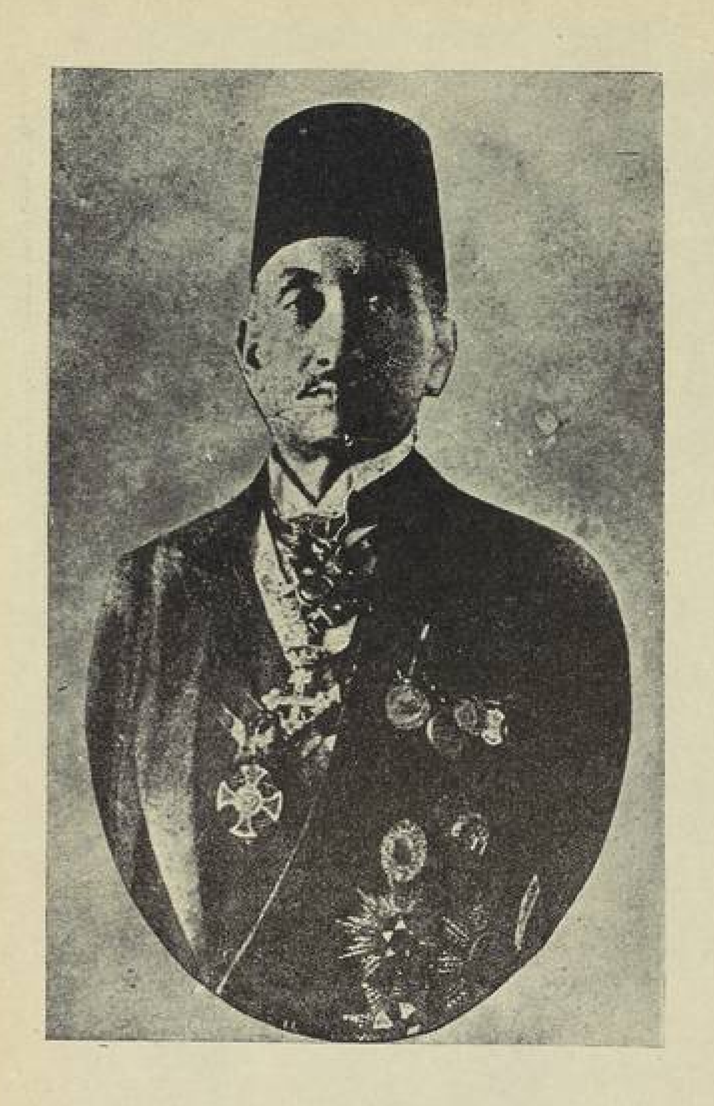
وقد اضطرت حكومة الملك علي الى الالتجاء لاقلام الكاتبين

القديرين السيد امين سعيد والسيد محمد سرور الصبان للرد في جريدة المقطم علي وعلى مقالاتي .

كان اعتقادي بعدم نسيان الامير عبد الله للامور المار ذكرها يجعلني اتردد في السفر الى عمان حذراً من التعرض لانتقامات الامير وانا من اخبر الناس باخلاقه وكانت بعض الحوادث التي جرت منه حينما كان اميراً للطائف (قبل ان تستدعيه الدولة البريطانية لامارة الاردن) لاتزال عالقة بذهني .

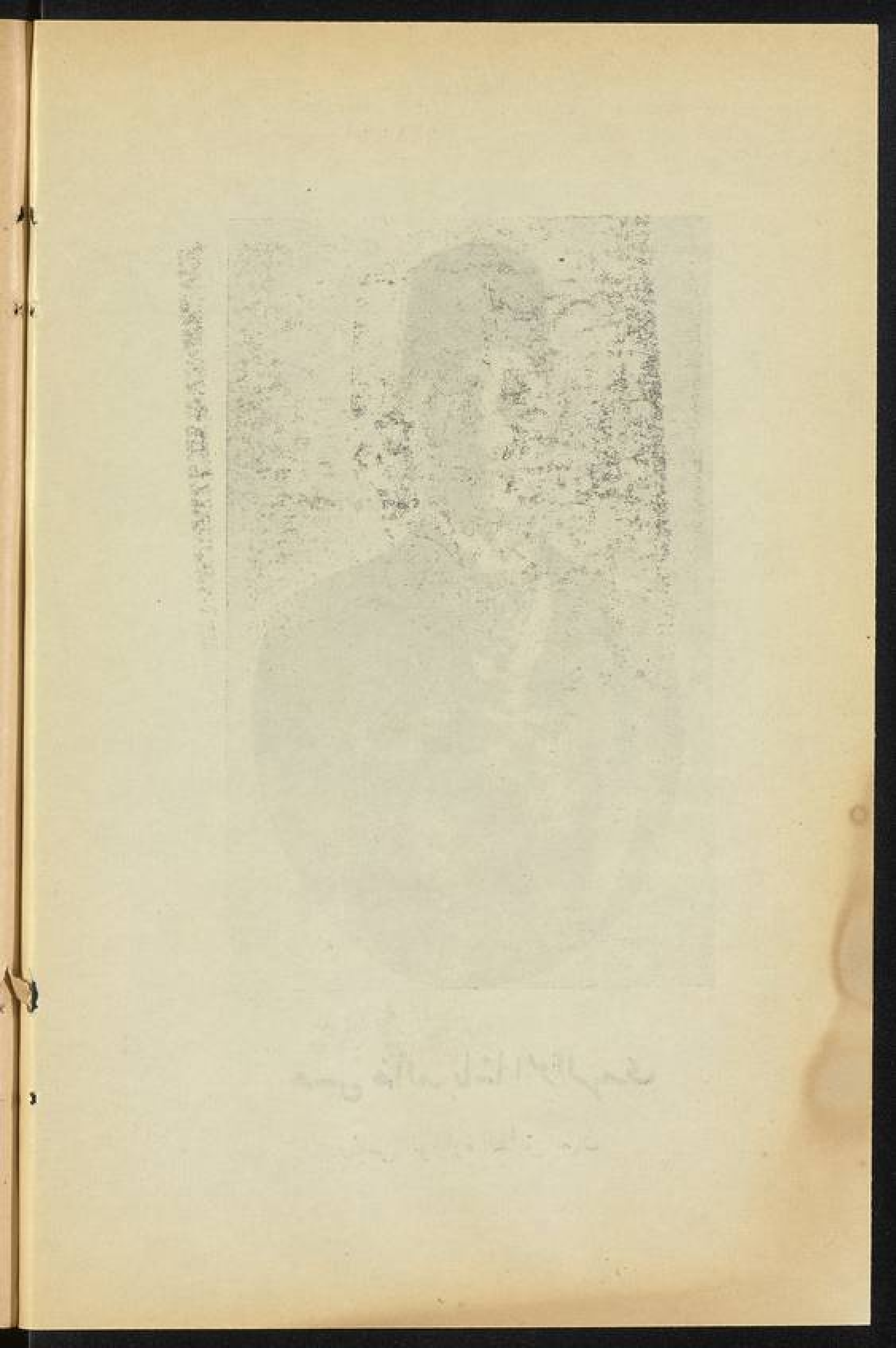
لهذا السبب حملت نفسي على انتظار نتيجة ابحاث قيادة الجيش الاردني التي انبأني الصديق حافظ مرشد بانها بدأت تبحث عنه واعتقدت ان اهتمامهما هذا هو نتيجة مكاتبات حكومة فلسطين لها ولكي استنهض همة الحكومة الاردنية كتبت الى رئيس وزارتها حسن خالد باشا الصيادي والى الامير عبدالله بضعة تحارير بهذا الشأن كما انني بعثت الى الشرطي حافظ مرشد جوابا شكرته فيه على ما أنبأني به وطلبت اليه الدوام على البحث واعلامي نتيجة ابحاثه فوردني منه جواباً ثانياً تاريخه/ ١٠ — ٦ — ٩٢٩ يقول فيه :

بلغني من احد الاصدقاء بان رئيس الحكومة حسن خالد باشا ابتدأ في اخذ التحقيقات بشأن اخيكم خليل من بعض الناس بصورة خصوصية ولكنني اقول لكم بأن هذا لايكفي لانه لايحك جسمك مثل ظفرك اما



حسن خالد باشا ابو الهدى

رئيس الوزارة السابق بعمان



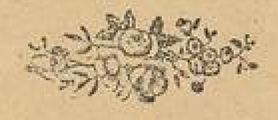
انا فلا ازال أوكد ظني بان خليلا لم يغادر هذه البلاد من بعد استقالته من الجيش ولا يمكنني ان اوضح لكم اكثر من هذا فأن كنتم في غفلة فاستيقظوا وابحثوا عن هذا الشاب والسلام ·

من اخيكم

الشرطي حافظ مرشد

اذا كان ماجاء في اول تحرير هذا الصديق عن اهتمام رئيس الوزراء بالبحث عن اخي يبعث على الاطمئنان فأن قوله في آخر الكتاب عن اعتقاده وتأكيده بان اخي لم يغادر عمان بعد استقالته من الجيش مما يدل على ان لديه معلومات لايستطيع الافضاء بها خطياً فما هي هذه المعلومات ياترى ؟

هل يعرف الرجل عن علاقات اخي خليل بعمان اكثر مما اعرف ؟ ان هذا الامر سوف ينجلي عند مقابلتي له وسأنتظر ·



الفصل الثانى

من هو خليل افندي رمضان ؟

وكيف اختنق ! ...

لكى يستطيع القارئ ان يعرف جواب هـذا السوآل سنسرد اليه الحقيقة الاتية :

كان الشرطي خليل اسعد رمضان شابا في الثالثة والعشرين من عمره طويل القامة باعتدال وتناسب في الاعضاء وسيم الخلقة قوي الجاذبية يميل الى الاناقة في الملبس وكان وديعاً في معاملته للناس قليل الكلام شديد التمسك بالتقاليد العربية الاسلامية التي ورثها واكتسبها من ترتبيـة العائلية وقد شاء القـدر ان يهجر مسقط راسه غزه ويرحل الى شرقي الاردن لميله الشخصي الى الاغتراب وطلباً للمعاش وقـد انخرط في شرطة عمان التى تعد جزءً من الجيش الاردني الذي يقوده القائد البريطاني بيك باشا وبالنسبة لما عرف عنه من حسن السلوك والشجاعة الرزينة فقد فقد اختاره مدير شرطة عمان لرافقه رئيس الوزارة حسن خالد باشا الصيادي والمحافظة عليه في منزله فخصص له الباشا غرفة منفردة مقابلة لمنزله العائلي

وعلى مسافة بضعة امتار منه وهي من املاك البلبيسي القاطن في الطابق الارضي من الدار المؤجر اعلاها لفخامة الباشا الرئيس فكان خليل يباشر في النهار اعماله الرسمية وفي الليل يأوي الى هذه الغرفة ولا يرقد قبل ان يطمئن بأن الباشا قد آوى الى فراشه ومع مرور الايام اكتسب ثقة الباشا الذي اعجبته متانه اخلاقه فكان يحترمه ويعامله كمعاملة الاب لابنه ·

وكان (س) البلبيسي رجل في الحلقة السادسة من عمره اغتنى بعد فقر وجمع ثروة تعد كبيرة بالنسبة لحالة عمان وبفضل هذه الثروة صار من الوجهاء واصحاب الاملاك والقصور بالنسبة لتلك المنطقة الساذجة

وخدمه الحظ والتوفيق لنجاحه في الحصول على وكالة احدى شركات الكاز والبانزين لثاني اولاده مع وكالة بعض شركات مبيع السيارات وعرف هذا الابن كيف يستثمر الفرص فتسنى له جمع ثروة خاصة رفعته من حال الى حال حتى اصبح صديقاً لكبار الموظفين في العاصمة الاردنية ·

وكان الوالد (س) يسكن مع اربعة شبان من اولاده وعيالهم في الطابق الارضي من الدار التى أجر اعلاها لرئيس الوزاره الاردنية وموقع هذه الدار بقرب الملعب الروماني الاثرى بعمان وفي الجهة الجنوبية منه ·

وكانت الآنسة (ج) هي الابنة العزيزة للوجيه (س) وقد تجاوزت

العشرين من العمر ولا تزال بكراً الآن والدها لم يشأ ان يزوجها من الشبان الذين تقدموا بطلب يدها لانهم لا يملكون الثروة المعادلة لثروته وكانت الفتاة رغم ما تشعر به من عطف ابيها عليها تتذمر من بقاءها بدون بعل ولا تستطيع ابداء هذا التذمر لغير امها الحنون وقد وقع نظرها على الشرطي خليل . في اليوم الاول من استلامه الغرفة المجاورة لدارها فكانت بصورة دائمة تسترق النظر اليه من خلف ستائر النوافذ ومنافذ الباب فقد اعجبها شبابه وجمال صورته وسيماء الرجولة البادية في ملامحه وفي حركاته وكانت تتمنى ان يكون هذا الشاب الموظف زوجها ورفيق حياتها الابدي ولا غرابة في هذا الميل فالفتاة عانس والشاب قوي وجميل وهو كل ما تطلبه المرأة الشابة وكان مجرد سماعها صوته يكفي لاثارة شعور الانوثة فيها فكان وقع الصوت في مسامعها ألذ من نغمات الاوتار وانفذ في فوآدها من السهام والحب كما يقول الخبيرون حاكم ظالم .

اجل لقد شغفت بحبه قبل ان تستطيع مقابلته وجهاً لوجه وتبثه غرامها الثائر وتبدى اليه الرغبة في الزواج منه وانى لها ان تعلمه بهذا والتقاليد المتبعة في بلادها تحول دون الاقدام على ذلك .

اكتفت (ج) مدة من الزمن بانتهاز الفرص للنظر الى وجه من احبته خلسة بدون ان يشعر بوجودها وكانت كلما ازدادت نظراً اليه قويت

رغبتها فيه وكان مرض الحب يسري في جسمها وينمو مع توالي الايام حتى ازمن وتغلغل في صميم قلبها الضعيف .

شعرت الام باعتلال صحة ابنتها وتبدل اطوارها وقضاءها اوقات كثيرة في التفكير الصامت وكانت تسألها عن اسباب هذا التغير فلاتفضي اليها بشيء مما الم بها واشغل قلبها وعقلها .

وفي ذات يوم دخلت عليها فوجدتها جالسة لوحدها تبكي وتصعد الزفرات الحارة فأشفقت عليها وسألتها عن الاسباب التي جعلتها تتألم فلم تستطع الفتاة كتمان غرامها فاجابت والدمع يتساقط من مقلتيها بلهجة تنم عن اللوعة والخجل :

أماه ! انني قد وقعت في حب هذا الشاب الذي جاورنا ولم اعد مالكة لنفسي . انني احبه والحب مقدور من امر الله وليس من امري ولو ان ابي زوجني الى من خطبوني في الماضي لما لبثت في هذا الدار ان ارى هذا الشاب واقع في محبته .

— ومن هو هذا الشاب يا ابنتي العزيزه ؟

— هو الشرطي المحافظ على دار الباشا والذي ينادونه باسم خليل افندي ! .

دهشت الام لهذه المفاجأة وراعها ان ترى فلذة كبدها حزينة باكية وخشيت ان تطرحها الآلام فتصبح عليلة ولبثت واجمة الى ان تمم الابنة

كلامها واستمرت الفتاة في الكلام حيث قالت :

— أماه ! ساعديني على تخفيف آلامي وانا اعلم بان آلامي لن تزول الا اذا صار هـذا الشاب من نصيبي واصبح زوجي ! الا ترين يا اماه بانه يليق لان يكون صهرك ؟ ! . .

كانت الام تود ان تلبي طلب ابنتهـا ولكن من اين لها الجرأة على اطلاع الاب القاسي على هذا الخبر وهو الطامع بان يزوجها من تاجر عظيم او وزير خطير !

— لبثت الأم برهة غير قليلة تفكر في الخطر الذي يهدد صحة ابنتها وعقلها ثم التفتت اليها وقالت :

— اخبريني يا بنيتي هل الشاب الذي اوقعك القـدر في محبته يبادلك الحب وهل يرغب في الزواج منك كما ترغبينه ؟ .

— لا اعلم يا اماه ؟ لم يسبق بيننا حديث ولا اشارة فهو حتى الان يجهل كل شيء عني وقد لاحظت انه لا يبـدي اهتماماً بي عنـد ما يلمحني وانا ادنو عليه .

— اذن يجب علينا التبصر الى ان نختبره ونسأل عنه فاذا استوثقنا من انه عازب لازوجة له في بلده ووجدنا منه رغبة فيك يمكننا ان نرغبه في طلب يدك وانا عندهـا سأبذل جهدي لاقناع والدك وارضاوءه والان هـدئي نفسك وتصبري لعل الله يوفقنا لما تريدينه فتكوني سعيدة في زواجك !

لقد خطر لي ان اسأل عنه من صبحه التي تتردد عليه في كل يوم فهي لا بد ان تكون عالمة باحواله اكثر من غيرها ولربما تستطيع ان تفهمنا ما نريد معرفته وان تكون وسيطة بيننا وبينه في نقل الكلام.

كان للشرطي خليل قطيع من المعزى اودعه عند عجوز قروية مقيمة بعمان اسمها صبحه تسكن بجوار بيت صديقه الشرطي عبد الرحيم محمود وكان زوج صبحه يرعى المعزى وكانت هي تحلبها وتبيع حليبها وتأتي كل صباح حاملة اليه ما يحتاجه من الحليب لتدفع له ثمن ما خصه من البان معزاه فهي لا تنقطع عن زيارته يومياً.

في اليوم التالي ترقبت الام مجيء صبحه فلما حضرت وانهت حساباتها مع خليل استدعتها الام وطلبت اليها شراء بعض حاجيات لفتاتها من السوق وبالغت في اكرامها والتودد اليها لتأليف قلبها وتعويدها على دخول الدار وهكذا كان شأن الفتاة فقد اظهرت اليها العطف والمودة واستمرت صبحه تتردد عليهن حتى امنتا جانبها وبعد بضعة ايام مرت على هذا التعارف المقصود سألتها الام عن احوال شريكها خليل وعن اخلاقه وهل له امرأة في وطنه ام لا يزال عازباً فاخبرتها صبحه بانه لم يتزوج بعد واطنبت في مدحه وكانت (ج) تصغى بانتباه كلي لاجوبة صبحه وتناقشها في الحديث بشأن محبوبها وهو لا يزال في غفلة عن الحب النامي في فؤادها.

مضت بضعة ايام اخرى والانسة (ج) لا تنقطع عن محادثة صبحه

وسوآلها عن خليل وقد ادركت صبحه ما يجول في خاطر الفتاة وتجادلت الى ان صرحت لها ام الفتاة بان تسأل من خليل عما اذا كان يرغب في الزواج وان تبدي اليه تعلق الفتاة به وتعرض عليه ان يتقدم لخطبتها من ابيها وتعهدت الام بتدبير الأمر مع الاب .

في ذلك النهار انفردت صبحه بخليل وأسرت اليه ما دار بينها وبين الفتاة وامهـا من الاحاديث بشأنه ووصفت له جمال الفتاة بشكل يدفع الى الرغبة واخبرته برغبتها في الزواج منه اذا هو رضي بذلك .

كان خليل قد لمح الفتاة اكثر من مرة واعجبته وقد ادرك انها تتعمد الظهور امامه فكان للحديث الذي اسرت به صبحه اليه وقع حسن في نفسه الحساسة خصوصاً وهو يعلم بان الفتاة من اسرة بارزة فقال :

— يا صبحه ! انني لم اتزوج ولم ارتبط مع احد بخطبة حتى الان وقد سررت برغبة هذه الفتاة وانني ابادلها الرغبة فاسألي امها متى يجب ان اتقدم للاب خاطباً ....

عادت صبحه في اليوم التالي لتخبره بان يتقدم بالخطبة فوراً .

ذهب خليل لاحد اصدقاءه البارزين وكلفه ان يتحدث مع والد الفتاة بالامر وقد لبى الصديق صديقه في ذلك النهار وقصد الاب وبعد مقدمة موجزة اخبره برغبة خليل في خطبة ابنته ولكن الاب المغتر بثروته وما يملكه من الحطام الزائل شمخ بانفه استكباراً واحمرت عيناه من الحنق

وقال للوسيط :

ليس من مقامنا ان نصاهر رجل فقير غريب البلاد لا نعرف اصله ولو كان من الناس الا كفياء لما هجر وطنه واتى من غزه لعمان ولما وجدناه شرطياً بمرتب خمسة جنيهات في الشهر ·

انني منعت ابنتي عمن هو اغنى منه فليبحث عن امرأة فقيره تكون من طبقته فبناتنا لا تعطى لامثاله ·

لم ييأس الوسيط لهذا الجواب القاسي بل حاول اقناع الاب واسترضاءه فقال :

— انا اعرف خليل واسرة خليل فهو من اسرة ابو رمضان وهي من الاسر البارزة في مدينة غزه وفي كل فلسطين ومنها من صاهر اعرق العائلات نسباً في بيت المقدس وفي غزه وبامكانك ان تسأل عنه من معارفه الموظفين والمستوطنين بعمان قبل ان تعطي جوابك على طلبه ·

— جوابي هو الاخير وقد قلت لك انني لا ازوج ابنتي لشرطي لا مورد له غير راتبه ثم تركه وانصرف يلعن الايام التى جرأت خليل وامثال خليل على التحدث بشأن ابنته ···

عاد الرجل الى خليل وقلبه يكاد يتفجر غيظاً من غلاظة جواب ذلك الرجل المغرور وكان خليل جالساً يفكر فيما عسى ان يكون الجواب فلما اقبل صديقه استقبله واقفاً وقدم اليه علبه السجاير وبعد ان اشعل سجارته

سأله مستفهما ماذا فعلت ايها الصديق ؟..

— لم استطع ان افعل شيئاً يسرك ياصديقي ! ان الرجل الذي كلفتني بمقابلته هو من اولئك الناس الذين جعلتهم الصدف من الاغنياء بعد الفقر المدقع وهو يرى ان ثروته قد رفعته الى درجة فوق الناس وقد انطبق عليه معني الآية القرآنية الكريمة «انما اموالكم واولادكم عدو لكم فاحذروهم» فقد اعتز واستكبر بماله واولاده حتى فقد التمييز الصحيح وعند ماخاطبته بشأن ابنته لم يشأ ان يفهم ما اقول فاجابني بالرفض وخير لك ان تبحث عن فتاة اخرى اذا كنت تريد الزواج .

تألم خليل من هذه الصدمة التي جرحت عزة نفسه ولم ير موجباً لاطالة التفكير في الامر فقرر العدول عن طلب الفتاة ولما عادت اليه صبحة لتسأله اخبرها بان تقول للفتاة وامها بان الاب امتنع وتطلب له منها المعذرة .

ليس بالامر السهل على الفتاة بعد ان ملك الحب فوآدهـا ان تقتنع بهـذا الرد وتنزع محبة خليل من فوآدها بل كان الجواب الذي تلقته من صبحة سبباً جديداً لاثارة كوامن الغرام في نفسهـا وتوسلت الى امها ان تبذل جهدها لاقناع الاب القاسي وحمله على الرضى والموافقة وقد ذرفت الدموع من مقلتيها فحركت عاطفة الحنو في قلب الوالدة الحيرى في امرها ولم تر الوالدة بدآمن تطمين خاطرها فقد وعدتها واقسمت لها على ان تكلمه في الموضوع وتتوسل بكل جهودها لاسترضائه .

كانت الام تعرف قسوة زوجها وعناده فلم تجد في نفسها الجرأة الكافية على مخاطبته وكان الخوف على نفسها وعلى ابنتها العزيزة من الضرب والتعذيب يلجمها عن التحدث معه بهذا الموضوع وكانت تعلل الفتاة بالوعود من يوم لآخر وبعد فترة قصيرة من الايام شعرت خلالها بان صحة الفتاة سائرة نحو الانحطاط استدعت صبحه اليها وقالت لها :

— قولي لخليل افندي ان يوسط جماعةً من اهل الوجاهة ليخطبوا له البنت من ابيها وانا سأمهد للامر مع الاب واسترضيه ...

— ذهبت صبحه وقبل ان تخبر خليلا بما اقترحته الام راحت تصف له ما تقاسيه الفتاة من الالام والاضطرابات النفسية لاجله مما حرك عاطفة الشفقة والحنو في قلبه وحرك كوامن الرغبة في نفسه بعد ان كاد يتغلب عليها وبعد ان لمست منه اللين اخبرته بما قالته لها ام الفتاة فوقع في حيرة وتردد ....

ايذل نفسه مرةً اخرى لذاك الاب المستكبر فيعيد الكرة ويخطب الفتاة ثانيةً ام يقتل غرامه وغرامها صيانة لنفسه التي لم يعودها الخضوع لغير الله .

— واخيرا تغلب هوى النفس فلم يجد في قلبه جرأة على مخالفة رغبة فاتنته الحزينة فذهب الى بعض اصدقاء ابيها ان يتوسطوا في الامر ويطلبوا له بنها بعد ان قال لهم :

قولو للرجل ان يسأل عني وعن الاسرة التي انتمي اليها في غزه فسوف يعلم باننا لسنا اقل منه وجاهة ولسنا بمجهولين النسب وافهموه بان وجودي في سلك الشرطة لا يحط من قدري اذا كان يظن ذلك فوظيفتي هي من اقدس الوظائف الحكومية واشرفها في نظر العالم . ان الشروط والمميزات التي تطلب الحكومة وجودها في رجال الشرطة قبل قبولهم في هذا السلك هي اعلى من الشروط التي تتطلبها من اي طالب يتقدم لوظيفة اخرى وخاصة في الناحيتين العقلية والاخلاقية .

— لبى الجماعة طلب خليل لما يعرفونه عنه من الاستقامة وحسن السلوك ولكنهم حينما خاطبو والد الفتاة رأوه مصراً على عناده فعادوا بالخيبة والفشل واخبروا خليلاً بذلك .

— كانت الام قد حاولت ان تستلين زوجها وقد اضطرت ان تفهمه بصراحه تعلق ابنته بمحبة الخاطب وانها لا تريد زوجاً غيره فلم تفلح بل كان نصيبها التوبيخ ونصيب البنت الضرب والتعذيب وصار من تلك الساعة ينظر الى خليل نظره الى الد اعدائه .

. . .

يستطيع المربي ان يبعد فتياته عن الوقوع في اشراك المحبة والتعرض لاخطارها بان يكون حكيماً في تدبير شؤونهن وبابعادهن عن الاختلاط بالشبان وباسداء النصيحة لهن بلزوم الابتعاد عن الجلوس والوقوف امام

النوافذ والابواب وبتزويجهن باول خاطب يرى فيه انه كفوء لان يعول المرأة ويصون عرضها ويترك امر حصولهن على السعادة الكمالية لله وحده حتى لايمضي الوقت وتتجاوز فتاته من الزواج الطبيعي قبل ان يجد لها البعل الذي يحلم لها به لان الفتيات متى تجاوزن السادسة عشر من العمر غالباً تدفعهن الغريزة الى تطلب الزواج ومتى بلغن العشرين من العمر بدون زواج تتولد فيهن عاطفة قوية نحو الرجال فيصبح من السهل جداً سقوطهن في ورطات الحب وكثيراً ما تدفعهن الغريزة الى المغامرة والتضحية في سبيل ارضاء الرغبة الطبيعية ولم تكن فتاة روايتنا هذه شاذة عن نظام الطبيعة البشرية فالنتيجة التي ارادها (س) من ضرب ابنته لم تحصل بل حصل العكس فقد طغت نفس الفتاة وازدادت تمسكا بالشاب الذي احبته والحب كما يعرفه ذووه لا يسمع النصح ولا يرهب التهديد ولا يخضع لاب ولا لام ...

عرف خليل بما اصاب محبوبته من ابيها وبعض اخوتها فتألم لها لان ذلك كان بسببه وقرر في نفسه ان يسعى لتخليصها من آلامها وبعد التفكير واستشارة بعض اصدقائه استقر رأيه على مخاطبة الباشا الرئيس في الامر فخاطبه والتمس منه ان يتدخل لحل المسألة واقناع الاب المتعنت بالموافقة على الزواج رحمة بابنته المسكينة ...

وراحت الفتاة وامها تتوسلان الى حريم الباشا فقبل الباشا الرجاء

واستدعى الاب فخاطبه في الامر ولكن الاب المغرور رفض رجاء الباشا وزاد قسوة في تعذيب ابنته ولم يكتف بهذا بل سلط عليها اخوتها فصارت تسمع منهم قوارص الكلام كلما دخلوا وخرجوا فزادوها هماً فوق همومها:
سئمت الفتاة هذه الحياة المنغصة فاستوحت الشجاعة من غرامها الثائر وصممت على ان تخاطب خليلاً بنفسها وتتفق معه على الطريق الواجب اتباعها للخلاص من ايدي اهلها وكانت عالمة بان من حقها الشرعي ان تتزوج بالرجل الذي تريده ويريدها مادامت بالغة ومتجاوزة سن الرشد.

المقابلة الاولى

في ذات ليلة مظلمة نهض خليل من سريره لسماعه طرقاً خفيفاً على الباب وصوتاً ناعماً يناديه:

خليل! خليل! اسرع وافتح لي الباب!

— نظر الى ساعته فاذا هي في الواحدة بعد نصف الليل ثم فتح الباب بتؤدة فرآى امامه محبوبته الانسة (ج) ملتفة بعباءة رجل وكانت ترتجف جزعاً لخوفها من ان يشعر بها ابوها او احد اخوانها فدخلت بسرعة واغلقت باب خلفها والقت بنفسها على مقعد صغير وصارت تبكي وتتأوه بدون ان

تتكلم بالامر الذي اقدمت على المجيء لاجله في تلك الساعة المتأخرة من الليل ·

جمد الدم في عروق خليل امام هذه المفاجأة الجريئة التي لم يكن ينتظرها ولم تخطر له على بال فوقف بعيداً عن الفتاة ينظر اليها وقد احزنه المنظر فترقرقت عيناه بالدمع وبعد ان رحب بها بكلمات قليلة سألها متجاهلا :

— ماذا تريدين ايتها الفتاة ؟ ..

— انني اتيت لاراك ولاقول لك انني احبك فهل انت تحبني ؟ ..

— نعم عندي من الحب اكثر مما عندك ولكن الا تعرفين يا سيدتي بان تقاليدنا تمنع مجيئك لعندي في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل وانت من المخدرات ! انني اتمنى من صميم فؤادي ان اتخذك زوجة تقديراً للعاطفة التي تحملينها نحوي غير انني لا استطيع ارغام اهلك على زواج لا يريدونه ·

— خلصني منهم ! خلصني ! واذا لم تنقذني منهم فسوف انتحر ! ...

— لا موجب للانتحار يا عزيزتي ! فالمنتحر يعد في حكم الدين كافراً لانه ابى ان يصبر على ماقدر الله فتنتقلين من عذاب الدنيا الى عقاب الاخرة فاصبري واعلمي الله مع الصابرين ·

— والى متى هذا الصبر وانا لم اعد اطيقه ·

— سأسعى اذا شئت لخلاصك من اهلك بطريقة مشروعة وشريفة

فالقضاء سوف يساعدنا على ان نصير ازواجاً حينما نلتجيء اليه ! والان ارجوك يا سيدتي ان تعودي لدارك ولا تكرري مخاطرتك هذه وتأتيني في مثل هذا الوقت ولا في غيره لئلا يعلم ابوك او احد اخوتك فيزيدوا في تعذيبك وانتظري منى التعليمات التي سأرسلها اليك مع صبحة !..

اذعنت الفتاة لارادة محبوبها وخرجت من عنده تتسرق الخطى وهو يرقبها بنظره الى ان دخلت لدارها واطبقت الباب فاطمأن وعاد الى فراشه.

. . .

مرت الايام والشهور وخليل متردد في تنفيد ما وعد به الفتاة والفتاة تترقب الفرص مابين ليلة واخرى وتأتي اليه لتبثه غرامها ولتشجعه على تنفيذ ماقرر وفي كل مرة كانت تلح عليه بالاسراع فكان يستمهلها بالوعود ويطلب اليها الاعتصام بالصبر ويتوسل اليها بان لاتأتي اليه الا بطلب منه ولكنها لم تستطع الصبر وقد طال فكانت تزوره في اكثر الليالي شاء ام ابى.

في تلك البرهة قدم من غزه الى عمان جودت افندي ابو رمضان وهو ابن عم خليل فدعاه خليل الى النوم عنده وقد ظن ان الفتاة لن تجروء على طرق بابه متى عرفت بان عنده ضيفاً ولكن الفتاة التي ملت الانتظار بضعة ايام تشجعت اخيراً وانتهزت في احدى الليالي المظلمة فرصة خروج الضيف فدخلت على خليل والقت بنفسها على ركبتيه وصارت تبكي وتتأوه

فعاد الضيف وشاهدها بتلك الحالة وقد طوقت خليلا بذراعيها وهي تقول له:

— متى تريد ان تنقذني يا حبيبي ؟!..

لم يتمالك خليل نفسه تجاه توسلاتها فسالت دموعه ولما رآى ابن عمه داخلا خجل منه وطلب اليها ان تعود لدارها وبعد ان خرجت اخبره بواقعة الحال والتمس منه التزام الكتمان وقد تألم جودت افندي لما سمع وقال له ان الواجب يا ابن العم يقضي عليك بانقاذ هذه الفتاة قبل ان تفقد عقلها وما دام الشرع يخولكما حق الزواج فلا تهتم لرضاء ذويها ولا تبالي بهم .

لم يلبث الضيف كثيراً فقد سافر بعد بضعة ايام راجعاً لغزه ومرت الايام تتلو بعضها والحب المتبادل في نمو وازدياد وقد عزم خليل بعد الاتفاق مع (ج) على تهريبها واخفاءها في مأوى امين وشريف عند احد اصدقائه لكي يرى الاب نفسه امام الامر الواقع فيضطر الى الرضى بالزواج او انه يرغم على عدم المعارضة بقوة سلطة الحكومة والقانون . صمم خليل على تنفيذ هذه الفكرة مهما كلفه الامر وقد استقر رأيه على التضحية في هذا السبيل ومغادرة بلاد الاردن عند الاقتضاء وليس هذا بالامر العجيب بعد ان بذل اقصى جهده في سبيل الحصول على موافقة ذاك الاب القاسي المستكبر فلم يفلح .

الفصل الثالث

الخطف

كان مبدأ اطلاعي على حوادث هـذه الرواية في اواخر شهر ايلول سنة ٩٢٨ من كتاب موءرخ في ٢٧ — ٩ — ٩٢٨ وصلني وانا في القدس من شقيقي خليل وهذا نصه :

سيدي الاخ اديب افندي رمضان !

سلام واشواق مـع تقبيل يديكم وبعـد فان كتابكم الموءرخ في ٠٠٠ وصلني وانا في السجن المركزي بعمان · الاسباب التي دعت ذلك هو انني كنت اعرف بنت الحاج (س) بعمان وهو من اعيان هذه البـلده وكنت طلبتهـا زوجة شرعية لي وكانت هذه البنت تحبني محبة شديدة ولكن اباها رفض الموافقة على زواجها مني رغماً عن توسلاتها اليه وعن توسط اكابر الرجال الذين كلفتهم بان يطلبوا لي يدها ومنذ عشرون يوم مضت اختفت هذه البنت وبقيت مدة خمسة عشر يوماً لا يعرف لها اثر وعلى اثر اختفائها ادخلت السجن لان اهلها ادعوا بانه ليس لها علاقة مع احد سواي

كان دخولي الى السجن بمذكرة توقيف غير موقت والآن مضى على عشرين يوماً وانا مسجون ٠

ومنذ اسبوع ظهرت البنت فجأة والتجأت الى سمو الامير كدخيلة بحسب عادات العرب وقد كان طلبني سمو الامير مراراً قبل ان تظهر البنت ووعدني بالزواج منها ولكن اهل البنت اغنياء ومتنفذين ولم يقبلوا بذلك وبعد خروجي من السجن سأعرفكم على ماذا عزمت لانني اعلم بان اهل البنت يدفعون كل ما لهم لمن يقضي على حياتي والذي اكد لي ذلك احد اصدقائي المخلصين وهم يعلمون بانه صديقي وقد وعدوه بخمسمائة جنيه اذا فعل ذلك .... هذه هي الحقيقة اشرحها لكم ٠ البنت اليوم عاصية عن الرجوع لاهلها وهي في المقر عند الامير عبدالله ولم تقبل ان تخرج من قصره الا اذا اهلها او الامير وافقوا على اعطائها الي خصوصاً لانها تعرف بان اهلها سوف يقتلونها لا محالة ولم يأمر الامير باحضار القاضي ليعقد الزواج مع انه لا مانع شرعي في ذلك ما دام عمر البنت اثنان وعشرون سنة ٠

الحق اليوم يا اخي للقوة والمال واؤمل ان لا تأسفوا لهذه الكارثة لان الرجال خلقوا لاعظم منها ٠

اما البنت فلا يوجد قوة تخرجها من دار الامير لانها هي نفسها عاصية هناك من الخوف وهذا ما استطاع الامير ان يفعله وهو ان يحميها من اهلها فقط ٠

واعلمك ان البعض متبرطلين بالنقود لمجازاتي ولكن البنت تعترف بانني لم امسسها ابداً وهي لا تزال بكراً « قد ثبت ذلك من فحصها بيد القابلة » ...

لا تنس يا اخي هذه القضية وعرفني هل يمكنك السعي لمقابلة المندوب السامي بوساطة احد كبار المسلمين في القدس وحل هذه المسألة بوجه شرعي وهل من سبيل لاظهار الحق فوق القوة .

انني ارسل اليك طيه مذكرة التوقيف لتثبت لك حقيقة الامر ...

من اخيك
الشرطي رقم ٢٢
خليل

. . .

وجدت مذكرة التوقيف ضمن التحرير وهي صادرة من دائرة مدعي عمان ومؤرخة / ٩ — ٩ — ٩٢٨ .

من تلاوة نص هذا الكتاب ادركت ان اخي عالق بمحبة الفتاة التي صارت سبباً لنكبته وادخاله السجن وانه بالرغم عما اصابه بسببها لا يزال متمسكاً برغبة الاقتران بها وبانها هي الاخرى تريده رغم مما نعات اهلها ومن الواضح ان الامير يستطيع الوفاء بما وعد به اخي مادامت البنت بالغة سن الرشد الشرعي ولكن الظاهر من تحرير اخي ان الامير قد عدل عما وعده

به انصياعاً لاصرار اهلها واكتفى بحمايتها منهم في قصره وهذا امر لا يدوم طويلاً .

ومع اطلاعي على ما تقدم ومعرفتي باحوال الحب وتأثيره في كل شاب فقد كنت اتمنى ان لا يتم الزواج الذي يريده اخي لخوفي من الاشاعات التي تنشر عادةً عن الفتيات اللواتي يهربن من بيوت اهلهن في مثل هذه الحالة ولم تسلم هذه الفتاة من ان تلوكها الالسنة بالشوائع المبالغ فيها فمن قائل انها وجدت حامل ومن قائل انها اخفت مولوداً ولدته سراً الى غير ذلك من التهم الباطلة ولهذا كتبت لاخي جواباً لمته فيه اشد الملامة ولذعته بقوارص الكلام واوصيته بالكف عن الاندفاع وراء العاطفة وتحكيم العقل وافهمته صراحة بانني لن ارضى له بهذا الزواج بعد ان تشوهت سيرة الفتاة بسبب فرارها من منزل اهلها وكنت قد صادفت بعض القادمين من عمان وعلمت منهم اموراً لم يشرحها اخي في تحريره المار ذكره وهي ان والد الفتاة واخوانها قد اشاعو في عمان بان فرارها كان باطلاع وتشويق حسن خالد باشا رئيس الوزارة وان اخي حينما هرب بها قد اركبها في سيارة الباشا ليلاً وذهب بها الى حيث اخفاها وانهم قد جمعوا جمهوراً من خصوم رئيس الوزارة ومن بعض الرعاع وقصدوا الامير محتجين على رئيس حكومته وقد اشركوه في التهمة بشهادة شاهدين قالا بانهما رأيا سائق سيارة الرئيس وبرفقته الشرطي خليل يقودان الفتاة المفقودة الى السيارة ويذهبان بها .

وامر آخر لم يذكره خليل في تحريره وقد عرفته من القادمين من عمان ايضاً وهو انه في الليلة التالية لاختفاء البنت بينما كان خليل راقداً في غرفته هاجمه ابو البنت مع اربعة من اولاده فكسروا الباب ودخلوا عليه وقبل ان ينهض عن سريره انهالوا عليه ضرباً بالعصي الضخمة والخناجر فجرحوه بضعة جروح في رأسه وكادوا يقضوا عليه لولا ان صادفهم مرور دورية الشرطة وعلى رأسها شرطي يدعى ابو غابش من اصدقاء خليل وقد سمعت الدورية صراخ الاب الحاج سليمان البلبيسي وهو يقول لاولاده اقتلوه ! اقتلوه ! فدخل رجال الشرطة وانقذوا خليلاً من بين يديهم وفي تلك اللحظة كان رئيس الوزارة قد هب من رقاده واقبل الى مكان الجريمة فوجد بان رجال الشرطة قد قبضوا على المجرمين بالجرم المشهود وشاهد خليلاً ملقى على فراشه لا يبدي حراكاً والدم ينزف من رأسه فارسل المجرمين الى محل التوقيف وارسل الجريح في سيارته الخاصة الى المستشفى وان الامير عبدالله اصدر امره في اليوم التالي باخلاء سبيل المجرمين بكفالة مالية اما الجريح فقد اصدر المدعي العام مذكرة بتوقيفه توقيفاً غير موقت وبعد ان زال عنه الخطر صار نقله من المستشفى العمومي الى مستشفى السجن.

وعلمت من بعض القادمين من عمان ايضاً بان العلاقات بين اخي والفتاة لم تتجاوز الحب الشريف والرغبة المتقابلة في الزواج فالفتاة ظلت بكراً وان الامير قد امر بالكشف عليها عند ما التجأت لقصره فثبت بعد الفحص

القانوني بانها عذراء لم يمسسها بشر وكانت هذه الاخبار موءيدة لما ذكره لي اخي في تحريره ونافية للاشاعات الاخرى التي انتشرت عن الحمل والولادة فالتمست لاخي بعض العذر لمحافظته على بكارتها ·

كان من واجبي ان اسافر لعمان فوراً ولكنني لم اغادر القدس ولم اتشبث بمراجعة احد للتدخل في الامر وحل القضية بالطريقة الشرعية كطلب اخي وكان وقوفي على الحياد ناشيء عن رغبتي في عدم اتمام هذا الزواج للمحذورات التي شرحتها آنفاً ·

لم ينتظر خليل وصول جوابي اليه فاتبع كتابه بكتاب ثان قال فيه :

اخي المحترم اديب افندي

سلام وتحية واقبل يديكم · سابقاً عرفتكم بانني في سجن عمان واخبرتكم بان البنت عند الامير عبد الله وقد وعدني بانهاء القضية كما ارغب وترغب البنت التي تريد ان اكون زوجها واظن انكم لاتلومونني على ذلك لانها من اسرة معروفة في عمان وعرفتكم بان المسألة تطول اذا لم يحصل لي مساعدة من طرفكم بواسطة معارفكم في القدس واعلم يا اخي ان الحق معي وليست هي مسألة غير شريفة وازيد كم علماً الآن بان اهل البنت قد دخلوا علي ليلاً وانا نائم واوسعوني ضرباً كاد يوءدي بحياتي (وهم ستة رجال) لولا ارادة الله وتدارك الدوريات ولم ادخل السجن الا بعد ان شفيت من ثلاثة جروح مخطرة كانت براسي وبعد ان قرر الاطباء ان

لا خطر على حياتي وانا لم ازل بمستشفى السجن بعمان والحمد لله ان صحتي قد تحسنت وقد صار اخراج المعتدين بكفالة مالية من طرف العدلية ·

من بعد هذا التحرير سوف لا اكاتبكم اذا لم تجيبوني وتعلموني ما الذي عزمتم ان تفعلوه لاجلي وبالختام اقبل يديك ·   اخوك

خليل اسعد رمضان

لم اجد في هذا التحرير مايستوجب تغيير افكاري السابقة نحو هذه القضية وقد فهمت من نصه ان اخي كتبه قبل ان يستلم الجواب المرسل اليه او انه استلمه وتجاهل ماجاءفيه خصوصاً وانه تركه بدون تاريخ وعلى كل حال فقد ارتأيت ان من الواجب السعي للافراج عنه فكتبت الى القاضي صالح بك بسيسو رئيس محكمة البداية وآخر الى حامد باشا الوادي رئيس ديوان الاميرواخبرت اخيعن ذلك وقد وصلني منه الجواب التالي:

عن عمان /٢٨—١٠—٢٨،

اخي اديب افندي :

وصلني كتابك المؤرخ في ٢٥ من الشهر الحالي وبه كتاب الى صالح بك بسيسو سلمته اليه

قد خرجت من السجن بعون الله تعالى لعدم وجود اسباب توجب بقائي مسجوناً · القضية احيلت الى المجلس التنفيذي (مجلس الوزراء) لان المحكمة لم تقدر على ايقاعي بالتهمة نظراً لعزم الامير على انهاء القضيةوالبت

لاتزال في داره ٠

حامد باشا لم يعرفني بشيء عن تحريرك وانا لم اتمكن من مقابلته لانه مخطور علي التجول داخل البلدة بامر من قيادة الجيش وبعد يومين سوف أسافر الى معان فقد صار نقلي الى هناك بامر من القيادة ٠

اخيك
الشرطي رقم ٢٢
خليل اسعد رمضان

. . .

اعجبني وسرني نقله الى معان بعيداً عن الفتاة واهلها فكتبت اليه بان يتناسى الماضي ويهتم بوظفيته ويترك ماسوى ذلك ٠

وعجبت ايضاً من احالة القضية الي المجلس التنفيدي وهي ليس من اختصاصه بل من اختصاص المحكمة التى كان عليها ان تصدر حكماً في امر الضرب والجرح فالجريمة محاولة قتل وهي من نوع الجناية ولكن ما اعرفه عن الامير ومما لأته لكل ذي نفوذ وعدم تقيده بالقوانين في حالات كثيرة ازالت حيرتي وتعجبي ٠

لاحاجة الى ان يعرفني اخى بأن الامير عفا عن المجرمين فالأمر واضح من نقل الدعوى لمجلس الوزارة وادركت انها وسيلة

لصدور العفو الاميري وقد صح ماتوقعته فقد اخبرني قادم من عمان بان الامير اصدر ارادته السامية بالعفو ليس عن البلابسة وحدهم بل وعن الشاهدين الكاذبين الذين استأجروهم ليشهدوا بان البنت هربت في سيارة رئيس الوزارة حسن خالد باشا والذين ثبت عليهم كذب الشهادة واوقفوا في السجن الى ان صدر العفو فشملهم مع البلابسه ولم تعاد الاوراق للمحكمة للحفظ بل حفظت بين اوراق المجلس التنفيذي حفظاً ابدياً .

لم تمض ايام كثيرة حتى وصلني من اخي تحرير تاريخه ٢١/١١/٩٢٨ مصدره معان ويقول فيه :

اخي اديب افندي !

تقولون يسركم ان اقطع علاقاتي بفتاة الاردن لان الشرف ابقى للانسان في حياته الاجتماعية فاخبرك يا اخي العزيز بأن حبنا شريف ليس فيه مايجلب العار وليست غايتي وغايتها الا الزواج الشرعي . هكذا حال الانسان الحساس في معترك الحياة البنت اليوم اصبحت لاتقدر ان تعود لاهلها وانا اصبحت بعيداً عنها ولكن ماذا اقول وهي اول مرة في حياتي علمت بها ان الامير لم يقدر على الوفاء بعهوده ولولا ذلك لكانت النتيجة تحولت لخلاف ماهو واقع الآن ولكنت انا الفائز بحسب الخطة التي

رسمتها منذ ثلاث سنين قبل تاريخ الحادثة . اما ما بلغكم عن ان اهلها يفكرون في الانتقام مني فهذا حقيقي ولكن يا اخي هل ينالون ذلك ان لم يكن قدر محتوم ؟

ليس هذا سوى كلام تتلذذ به المسامع . انا الآن وكيل مفوض شرطة معان . البنت الى الآن عند الامير في المقر العالي . يوجد لديكم فرصة اذا اردتم معاونتي بوساطة حامد باشا الوادي رئيس الديوان وفي الختام اقبل يديك

اخوك

خليل

. .

في نهار ٦ — ٢ — ٩٢٩ وصل اخي خليل الى القدس آتياً من معان (بطريق عمان) باجازة مدتها عشرين يوم فقضى عندي ليلتين وحدثني بجميع ما مر شرحه وقد سألته عن الاسباب التي حملت قيادة الجيش ان تمنعه من التجول في عمان فاجاب بان القيادة لاحظت بأن اهل البنت بعد أن خرجوا من السجن وعفا عنهم الامير لم يكتفوا بما حصل منهم بل كانوا يقولون على رؤس الأشهاد بانه لابد من قتل خليل ولذلك اصدرت الامر بمنعه عن التجول بعمان واذا حصل سبباً اضطرارياً فكانت تبعث معه

شرطي يرافقه في السوق واخيراً اصدرت الامر بنقله لمعان لابعاده عن تهديدهم .

وكان في اثناء حديثه يكرر ذكر الفتاة (ج) مما جعلني اعتقد بأنه حتى الآن لم يستطع دفع غائلة الحب عن نفسه ولما نصحته بتغيير افكاره تظاهر بقبول النصيحة وزاد على ذلك قوله اخشى ان تكون البنت قد غيرت فكرها من نحوي ووجهت افكارها للزواج بواحد من حاشية الأمير فقد بلغني بأنها اعتادت من يوم التجاءها للقصر ان تكثر من التحدث اليه فقلت :

وكيف علمت بهذا الأمر .

ان لي صديق من حرس القصر الاميري قابلته في محطة عمان يوم قدومي من معان وهو الذي اخبرني بالخبر ولكنني لا ازال اشك في قوله لان البنت كانت تقسم لي الأيمان المغلظة بانها لن تتزوج غيري ولا يميل قلبها لرجل سواي على وجه الارض واخشى ان يكون ماظنه ذلك الصديق غير صحيح .

كنت اصغي لخليل بانتباه وهو يحدثني بهذا الامر وقد ارتأيت في نفسي بأن من المصلحة تقوية الشك الذي خامر فكره نحوها وحمله على الاعتقاد بعدم اخلاصها له بأمل ان يجفاها ويسلى محبتها فقلت له :

مادام ان الرجل الذي حدثك بهذا الامر صديقك وليس له غرض

فيما نقله اليك فيجب ان تحل كلامه محل الاعتبار وليس هـذا بعجيب من النساء فقد قال فيهن علي ابن ابى طالب كرم الله وجهه :

« أنا وجـدناهن لادين لهن في خلواتهن ولا ورع لهن في شهواتهن اللذة بهن يسيرة والحـيرة بهن كثيرة فأما صوالحهن ففواجر واما طوالحهن فعواهر فيهن ثلاث خصال من اليهود يتظلمن وهن ظالمات ويحلفن وهن كاذبات ويثمنعن وهن راغبات فاستعيذوا بالله من شر يرانهن و كونوا على حذر من خيارهن . » ..

ثم كيف تفكر باتخاذها زوجة لك بعد أن خامرك الشك نحوهـا ولاكتها السن الناس الى هذا الحد ؟

ان الشرف ليس ملكاً لك وحدك ياخليل بل هو مشترك بيننا و كل مايصدر عنك من هذه الناحية ينالنا منه حصة فمن حقي وانا اخوك الا كبر منك سناً ان امنعك عن التفكير بهذه الفتاة والزمك بعدم اتخاذهـا زوجة لك بعد أن جرت بسببها كل هذه الحوادث فهل انت سامع لنصحي ام تريد ان تضطرني للتبرؤ منك ومن اعمالك .

. . .

لم يتعود خليل ان يسمع مني مثل هـذه الكلمات القـارصة لأنه لم

يضطرني في حياته مرة الى تأنيبه وقد ادركت من ملامح وجهه وهو يصغى صامتاً لنصيحتي وتهديدي بان كلماتي كانت اشد عليه من وقع الصواعق وقد طفر الدمع من عينيه فولى وجهه عني وقام يتمشى في ارض الغرفة جيئة وذهاباً مدة تزيد عن عشر دقائق ثم التفت الي وقال :

اعدك يا اخي وعداً قاطعاً بأنني سأترك هذه الفتاة وانزعها من فكري الى الابد .

لم اتمالك نفسي من شدة الفرح فنهضت واقفاً وقبلته من بين عينيه وخرجت به الى النزهة في ضواحي القدس ولم يعد يذكر لي شيئاً عن الفتاة طيلة اليومين الذين مكثهما في القدس سوى انني سألته عما اذا كانت الفتاة لاتزال في قصر الأمير فأجاب بأن الأمير قد اعادها لاهلها بعد ان استكتبهم سنداً بعدم التعرض اليها وبعدم محاولات التعرض اليه مرة اخرى وحفظ السند في ديوان الامارة ..

وقال ان العفو قد شملهم فيما يختص بالمسدس الاميري الذي اغتصبوه من تحت وسادته في ليلة هجومهم عليه فسألته :

وهل رمحوا قيد المسدس عن اسمك .

نعم واعطتني القيادة عوضاً عنه بدون ان تطلب مني او منهم تعويض ثمنه لأن العفو شمل جميع نواحي القضية وقد صدرت الارادة للقيادة بذلك ....

وكيف استطاعوا حمل الأمير على كل هذا التساهل معهم ؟
لقد اشتروا الضمائر وسخروا كبار الموظفين ورجال العدلية فتوسطوا لدى الامير وحملوه على اصدار عفوه وكان للعبيد المحيطين بالأمير اليد الطولى في استمالته نحوهم وانت تعلم ياأخي ان للعبيد كلمة نافذة عند سموه واكثر المشكلات تحل عن ايديهم والأمير لايستطيع مخالفتهم لأن جميع اسرار القصر عندهم .

...

سافر خليل الى غزه فقضي بقية ايام اجازته فيها وبناء على طلب اعمامه وبني عمه فقد رجع من الاجازه وهو مصمم على ان يستقيل حال وصوله عمان ويرجع الى فلسطين باسرع مايمكن وقد استحسنت منه هذا العزم وشجعته عليه ولم يلبث ان ركب السيارة قاصداً عمان وكان ذلك صباح ٢٥ - ٢ - ٩٢٩ .

وقبل سفره اوصاني بأن اكاتبه بواسطة صديقه الشرطي عبد الرحيم محمود وفي مساء اليوم الثالث لسفره تلقيت منه كتاباً وردت فيه الجمل الآتية :

اخبركم انني وصلت عمان . استقلت من الجيش . انتظروا حضوري لطرفكم بعد اسبوع اذا طال الأمر . عرفوني عن امكان دخولي المدرسة

(• كان يقصد بذلك مدرسة البوليس بالقـدس) • الجواب ارسلوه بالسرعة الممكنة !

العنوان : بوساطة الشرطي عبد الرحيم محمود بعمان •

/ ٢٧ / ٢ / ٩٢٩ من اخيك

خليل

***

كان فرحي عظيماً لأن اخي قد بر بوعده واستقال وعزم على ترك شرقي الاردن نهائياً وفي اليوم التالي لوصول كتـابه بعثت اليه بالجواب وطلبت اليـه الاسراع بالمجيء واكدت له سهولة ادخاله لمدرسة البوليس بالقدس ولبثت انتظر وصوله ••••••



الفصل الرابع

الرجل يختفي !

مرت الأيام ثم الاسابيع ولم يحضر خليل كما وانه لم يكتب الي عن اسباب تأخيره ..

كتبت اليه بضعة تحارير بوساطة صديقه الشرطي عبد الرحيم محمود ولكنها ظلت بلا جواب ...

كتبت عدة تحارير الى الشرطي عبد الرحيم خاصة وطلبت منه بالحاح ان ينبئني عن اخي وسألته عما اذا كان قد تسلم اليه المكاتبة المرسلة بوساطته وعن اسباب عدم ارساله جواباً عليها وان يعلمني لماذا لم يعد اخي الى القدس وهل لايزال بعمان ام سافر منها واذا كان قد سافر فالى اين ؟....

كان عبد الرحيم كالصخر الجامد لايرد لي جواباً ولم اجرء على السفر لعمان للاسباب التي شرحتها في الفصل الأول ...

.٠.

ابتدأت الشكوك تتسرب الى نفسي وقد كتبت لأخي شوكت المستوطن دمشق اسأله عن خليل فاجابني بكتاب تاريخه ٢٧ — ٣ — ٩٢٩ قال فيه :

انا الآن بانتظار خليل حيث انه كما وعدك بالحضور الى القدس وعدني بالحضور الى الشام والى الان لم يصل وقطع عني المخابرة الأمر الذي اشغل فكري وقد ارسلت اليه تحرير بوساطة صديق له يدعى محيي الدين البيتماني مستخدم عند رئيس وزراء حكومة الشرق العربي ولـلآن لم يأتني جواب .

فارجوك ان تعلمني عن خليل هل حضر لطرفكم ام باق بعمان ؟

ان وجوده في عمان هو عين الخطأ وخطر عليه ولا بد انه بلغكم مابلغني .

من اخيك
محمد شوكت

اجل ان خليل لم يذهب لدمشق !...

***

بعد مرور يومين من وصول هـذا التحرير كنت داخلاً لثكنة

بوليس القدس لزيارة الصديق كامل افندي فصادفت على لوحة التحارير المعلقة في الحائط كتاباً كنت ارسلته لاخي خليل بوساطة الشرطي عبد الرحيم محمود ومكتوب في اسفله بخط واضح (يعاد الى القدس)

تناولته عن اللوحة وفتحته فاذا هو التحرير الاول الذي ارسلته اليه بعد سفره الاخير لعمان جواباً على كتابه . استغربت وجوده في ذلك المكان لأنني لم اكتب على ظهره العنوان الذي يجب ان يعاد اليه واخيراً خطر لي بان دائرة البريد تحاشت فتح التحرير للاستدلال على مرسله فبعثت به الى قشلة البوليس عسى ان يعرفوا المرسل فيعيدوه اليه .

نظرت الى اختام البوسطة على الغلاف فاذا هو قداعيد في اليوم التالي لوصوله عمان .

تفقدت الغلاف جيداً فاذا هو لم يفتح بيد غير يدي فمن الذي اعاده من عمان و كتب عليه هذه الجملة ؟ . .

لاشك في انه الشرطي عبد الرحيم محمود الذي ارسلته لاسمه وهذا ماحملني على ان ارسل اليه كتاباً اسأله فيه عن سبب اعادته تحريري للقدس بدون ان يشرح السبب الموجب اعادته وعدت فبينت اليه مرة اخرى اضطراب افكاري لانقطاع اخبار اخي وصديقه خليل وتوسلت اليه بارق العبادات ان يجيبني على كتابي هذا ولبثت انتظر جوابه ولكن بدون جدوى حتى خيل الي بانه غير موجود في عمان ولكنني كنت

مخطئاً في هذا الظن ! ......

لم اكتف بالكتابه للاشخاص المار ذكرهم للبحث عن اخي فقد كتبت الى معان والى غزة عدة تحارير اخرى لم ار من اللازم درجها هنا فكانت جميع الأجوبة سلبيه ليس فيها مايلقي امامي نوراً استضيءُ به في ابحاثي ؟..

بعد ان قطعت الأمل من الوصول الى نتيجة من هذه المخابرات اضطررت ان اكتب لقائد شرطة عمان كتابي المؤرخ /١٣ ـ ٤ ـ ٩٢٩ الذي درجت نص جوابه في الفصل الاول وقد أرسلته اليه مسجلا خوفاً من الضياع وذكرت فيه كيفية انقطاع اخبار خليل واستلفتت نظره الى الضغائن القديمة بينه وبين البلابسة والى ان الشرطي عبد الرحيم محمود وهو اقرب اصدقائه اليه لابد ان يكون عالماً بسبب اختفائه ورجوته ان يحقق تحقيقاً دقيقاً ويعلمني نتيجة ابحاثه بالسرعة الممكنة وفي ذات النهار كتبت الى حاكم مقاطعة القدس طالباً تكليف المندوب السامي اصدار امره لحكومة عمان بالتحقيق عن سبب اختفاء اخي والتشديد عليها بلزوم الاجابة الصريحة وتذكيرها بالحزازات السابقة بينه وبين البلبيسي واولاده وقد درجت جوابه الأول في الفصل الأول ..

...

الفصل الخامس

التضليل

بتاريخ ٢١-٢-٩٢٩ أرسل الي حاكم مقاطعة القدس جوابه الثاني وفيه يقول :

(رقم ٤٣ / ٥ في ٢١ حزيران سنة ٩٢٩)

الى حضرة السيد اديب رمضان !

جواباً على كتابكم المؤرخ / ١٣ نيسان سنة ٩٢٩ احيطكم علماً بان حكومة شرقي الاردن بعد ان اجرت تحريات جدية لم تتمكن من العثور على مكان اخيكم خليل ابن اسعد ابو رمضان ·

وعلى كل حال فقد اخبرت الحكومة المذكورة بأنه يوجد له أخ في دمشق ويمكن ان يكون لديه بعض المعلومية عنه واقبلوا الاحترام ·

عن حاكم مقاطعة القدس

روحي عبد الهادي

عجيب ؟ .. ماهذه المغالطة ؟ ..

انني في جميع التحارير التي ارسلتها الى المقامات الحكومية في عمان قلت بأن اخي الموجود في دمشق لايعلم شيئاً عن اخيه المبحوث عنه وانه دوماً يخابرني بشأن التنقيب عنه والتحري عليه كما وانه قد خابر رئيس حكومة شرقي الاردن مستفسراً بشأنه ؟

ان ما كتبته حكومة شرقي الاردن لحكومة فلسطين مبني على المغالطة والتمويه ولا ارى مايبرر صدور هذا التمويه منها ....

***

لم يبق امامي سوى ان اسافر لعمان مهما كانت الموانع وبينما انا اتهيأ للسفر اذ وصلني من اخي الذي في الشام كتاب تاريخه ٤—٧—٩٢٩ يقول فيه :

(اتاني تحرير من صهرنا سعيد خاف في غزة يخبرني فيه بان اخيكم خليل موجود في الزبداني وعليه طلبت منكم التحقيق عن ذلك والى الآن لم اتاني منكم جواب) ؟ ..

اذن فحكومة شرقي الاردن لم تكذب عندما قالت في جوابها لحكومة فلسطين يحتمل ان يكون لدى اخيه الموجود في دمشق بعض

المعلومية عنه ! ..

ان مصيبتي في الاخ الموجود لهي اعظم من مصيبتي في الأخ المفقود ! ...

أليس عجيباً ان اخي الموجود في الشام وهي لاتبعد عن الزبداني أكثر من ساعه ونصف في القطار يطلب مني وانا في القدس التحقيق عما اذا كان خليل موجوداً في الزبداني مع علمه بان المسافة من القدس بعيدة وسفري للزبداني يحتاج الى جواز سفر يكلف المبلغ المعلوم الذي اصبح (بعد تقسيم الانتداب على البلاد العربية) لزاماً على كل من يريد اجتياز الحدود دفعه لدوائر الجوازات ؟؟

وليت الأمر يقف عند هذا الحد بل لابد من انتظار مدة غير محدودة لبينما تقوم دوائر الجوازات بتحرياتها القانونية قبل اصدار جواز السفر ..

لم اتمالك نفسي عن كتابة جواب شديد اللهجة لاخي في الشام اظهرت فيه استيائي من برودة قلبه وطلبت منه ان يذهب بنفسه الى الزبداني ويبحث عن خليل ويعلمني النتيجة بسرعة وبدلا من السفر لعمان ركبت القطار الى غزة لاتحقق من سعيد خلف عن المصدر الذي نقل عنه خبر وجود خليل في الزبداني .

قابلته في محطة القطار بغزة وكان من موظفي ادارتها فسألته :

هل انت كتبت الى شوكت بأن اخيه خليل موجود في الزبداني ؟

— نعم انا الذي بعثت اليه بهذه البشرى لعلمي بانكم تبحثون عن خليل منذ مدة

— ومن الذي اخبرك بانه في الزبداني ؟

— هو ابن عمكم رزق ؟

— ومن الذي اخبر رزق ؟ ...

— لا اعرف اسم الذين اخبروه فاسأله بنفسك !

تناولت قدح الشاي الذي قدمه الي وقمت مسرعاً نحو المدينه لأبحث عن ابن العم رزق وقبل ان اجده مررت بدار عمنا محمود اغا رمضان فأخبرته باسباب قدومي لغزة وبانني ابحث الآن عن ابن العم رزق فقال :

— ان رزقاً كما تعرفه لايوثق بكلامه وازيدك علماً بان اثنين من اولاد البلبيسي كانا حضرا الى غزة ليبحثا عن اختهما في البرهة التي كانت هربت فيها حيث كانا يظنان بأن خليلاً قد ارسلها الى غزة فدفعا الى رزق نفحة من الدراهم و كلفاه ان يتجسس لهما عما اذا كانت البنت مختفية في احدى منازل اعمامه فلم يتردد عن قبول المهمة واخذ المبلغ منهما ولو كانت موجودة في بيت من بيوتنا لما تأخر عن اخبارهم و لكنهم كانوا مخطئين في الظن لأنه لايوجد منا احداً يقبلها في بيته مادامت خطيفة وعلى كل حال فانا كنت كدرت رزقاً حينما علمت بامر اتفاقه مع البلابسة ولم يبق في العائلة من لم يوجه اليه اللوم والتأنيب ورجل هذا حاله لايجب ان نثق بكلامه .

واخيراً بعث الى رزق خادماً يستدعيه فلما حضر سألته :

هل صحيح انك تعلم بوجود اخي خليل في الزبداني ؟

نعم وهو طيب بغاية الصحة !

وماذا يفعل هناك ؟ .

لا اعلم ولكنه طيب بخير !

ومن الذي اخبرك عنه ؟

من مدة شهر تقريباً بينما كنت في المحطة (محطة غزة) صادفت رجلا دمشقياً من المستوطنين عمان و كان يريد السفر الى مصر وفد فاته القطار فتأخر في المحطة بانتظار قطار آخر وقد قال لي بانه يعرف خليلا حق المعرفة وانه صديقه وانه كان قبل اسبوع في بلدة الزبداني فرآي خليلا فيها وجلس معه في المقهى عدة ساعات ولما ان قال له انه يريد السفر الى مصر في القطار قال له خليل اذا مررت بغزة فبلغ اقاربي انني موجود هنا !

وهل كان خليل يعلم بانه سوف يفوته القطار في محطة غزة ؟

هذا غير معقول !

اذن كان يجب ان يسلمه تحرير ليعطيه الى من يصادفه في المحطة امانة لمن يريد من اقربائه وغير هذا لا يكون معقولا !

الخطأ من خليل لأنه لم يعطه مكتوب .

هل يعرفك الرجل في الماضي ؟

كلا .

وكيف عرف بانك ابن عم خليل ؟

لادري يمكن انه سأل الناس فارشدوه الي

كم اقام في المحطة ؟

البرهة الفاصلة بين القطارين ..

كان عمنا محمود آغا صامتاً يسمع هذه المناقشة ولما وصلنا الى هذا الحد وادرك بان لافائدة من استمرار الحديث مع رزق ظهرت امارات الغضب على وجهه فالتفت اليه وقال بحدة :

اخرج من هنا يارزق فانت كذاب ...

ثم التفت نحوي وقال !

وانت ياأديب ابحث عن اخيك في عمان ولا تصغى الى هذه الاكاذيب الملفقة ! ..

لم اعتقد بان رزقاً قد اختلق الخبر من تلقاء نفسه بل اعتقدت بعد تحليل الكلام بان الرجل الذي نقل الخبر الى رزق مدفوع لما قاله اوهوذو مصلحة سوف تكشفها الايام وان طالت ولو عرفته لتبعته اينما كان .

انتهت مهمتي في غزة وقبل ان اعود منها وصلتني رسالة من اخي في دمشق يقول فيها :

(انه ذهب بنفسه للزبداني فلم يجد خليلاً فيها ولم يعلم انه اتى اليهـا مطلقـاً)

وقبل مغادرتي غزه اطلعني ابن العم جودت افنـدي رمضان على رسالة مرسلة اليه من خليل تاريخها ٤/ آذار سنة ٩٢٩ يقول له فيها انه غادر عمان الى جهة لايريد بيانها ويرجوا منه ان لايقطع المخابرة عنـه الى اشعار آخر ولربما تأخر ذلك مدة طويلة . . . . . .

الخط خط خليل لاشك في ذلك ولكن المدقق يدرك انه كتبه بيد مضطربة وبحالة غير طبيعيه واللهجة تختلف عن لهجة خليل ويقول اهـدوا تحياتي لوالدكم واخوانكم وجميع العائلة دون ذكر الاسمـاء .. التاريخ في الرابع من آذار اي بعد تاريخ التحرير الاخير الذي وصلني منه بخمسة ايام فهل كتبه خليل تحت الضغط حتى تغيرت اللهجـة واضطربت اليد الكاتبة . . . .

ام كان حين ما كتبه بحالة غير طبيعية؟ ولماذا يكتم الجهة التي يريد السفر اليها؟ وهل يتفق هذا مع ماوعدني به شفاها ثم اكده بتحريره الاخير عن رجوعه لفلسطين ؟

ماهذا التناقض الغريب ؟ ثم ماهو السر في ان يكتب الي انه قادم لفلسطين ولاخيه الذي في الشام عن قدومه للشام والى ابن عمه غزه انه مسافر لناحية مجهولة ؟ ؟؟ . . . .

كل هذا يدعوا الى الحيرة والريبة ويؤكد ظني بان التحرير المرسل الى ابن العم السيد جودت لم يكتبه وهو بالحالة الطبيعية ! ..

حفظت الرسالة على سبيل الاحتياط على امل انه ربما نحتاج اليها في المستقبل .....

عدت الى القدس ورحت اتدارك المال اللازم لأقامتي بعمان لعلمي بأن انكشاف الحقيقة سيحتاج ألى الاقامة مدة غير قصيرة خصوصاً لان ثقتي في دوائر عمان اصبحت ضعيفة والاجوبة المرسلة من الحكومة تدعوا الى الشك والارتياب .

في تلك البرهة وصلتني رسالة من اخى الذي في الشام يقول فيها :

« اعلمكم عن اخينا خليل .. قد اتى للشام أحد اصدقائي من عمان وهو بندقي في الجيش العربي اسمه عساف افندي وهو صديق لخليل وسأله عنه فافاد بأنه قبل شهر كان في عمان وصحته جيدة وعلى قوله انه كان بجهة طبريا وقد سأله هل مراده الاقامة بعمان ام السفر فاعلمه بانه مسافر لجهة لايقدر ان يعلمه عنها وفي هذا اليوم توجه عساف افندي الى عمان واعطيته تحرير لخليل ووعدني بانه سيعلمني عن محل اقامته اينما كان هذه نتيجة تحقيقاتي عن خليل اطمنكم عنه » .

اخوك

محمد شوكت رمضان

١٣/ــ٨ــ٩٣٠

عندما قرأت هـذه الرسالة كدت اصدق مابشر به عساف أخي ولزيادة التأكيد بعثت رسالة الى صديقنا السيد حافظ مرشد الشرطي بعمان وطلبت منه أن يقابل البندقي عساف افندي ويسأله عما كان قد اخبر به اخي شوكت في الشام ويجيب بسرعة وبعثت برسالة ثانية لقائد شرطة عمان وطلبت منه ان يستدعي عساف افندي ويتحقق منه ويعلمني النتيجة .

اما السيد حافظ مرشد فقد اجابني برسالة مؤرخة في ١٤—٩—٩٢٩ قال فيها بعد المقدمة :

« سألت الذي واجه اخيكم بدمشق هل نظر خليلا بعمان فاجاب :

= اظن ... كأنني . . الله اعلم انني نظرته مرة وانت معه اعني ملامحة وليس تأكيداً ، ولذلك قلت لاخيه في الشام انني رأيته — وهذا كلا عساف افندي .... »

الا يحق لي ان اسمي هذا التناقض تضليلا ؟ .. والا فما هذا التباين في اقوال عساف ؟ .. كيف يقول لاخي في الشام بانه كلم خليلا وسأله اين كان غائباً فاجابه انه كان بجهات طبريا وان مراده السفر لجهة لايريد الافصاح عنها ثم يأخذ من الشام كتابا ليسلمه اليه ثم عندما سئل في عمان يقول بانه يظن ظناً انه رآه في عمان لمحاً وليس تأكيداً .

ماهذا التناقض ؟ .. وما الذي حمله على تغرير اخي في الشام هل هو

مدفوع ؟ . .

القيت الرسالة بين الاوراق المحفوظة ورحت اردد قول الشاعر :

« ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً »

. . .

اما قائد شرطة عمان فلم يجب على رسالتي الاخيرة لسبب لا أعلمه . .



الفصل السادس

البحث في عمان

واخيراً سافرت الى عمان فوصلتها مساء ٣ — ١٢ — ٩٢٩

استأجرت غرفة في ناحية منعزلة من البلدة في نفس الدار التي يسكن فيها صديقي ومواطني الشرطي حافظ مرشد وبعد ان رتبت امتعتي ونصبت سريري دعاني السيد حافظ الي شرب الشاي في غرفته فسألته :

— هل لديك معلومات جديدة عن خليل ؟

— كلا ليس من خبر جديد غير ماينته اليك في رسالتي السابقة

— كم يوماً مكث خليل بعمان بعد ان استقال ؟

ثلاثة ايام او اربعة وكان ينام عند صديقه الشرطي عبد الرحيم محمود الذي طالما نهيت خليلا عن مصاحبته وكان عبد الرحيم يسكن معي في دار غير هذه وغرفته في الطابق العلوي وانا كنت في الطابق الارضي

وكان خليل يزورني يومياً عند كل فرصة .

هل كان يحدثك عن الفتاة

نعم كنت سألته هل لايزال يفكر بها فاجابني بجزم انه قد سلاها وعزم على تناسيها ألى الابد وانه موعود بالزواج من احدى بنات اعمامه في غزة ولكنه قبل ان يختفي بيوم واحد قال لي انه أتاه خبر من البلابسة اهل البنت بواسطة شخص لم يذكر لي اسمه بانهم يوافقون على زواجه منها ويشترطون عليه الاقامة بعمان والسكنى بجوارهم واستشارني في الامر فارتأيت له تركها والرجوع الى غزة وبحسب ماظهر لي انه قد اقتنع واستحسن رأيي وقد كلفته ان يواجهني قبل سفره الى غزة لارسل معه امانة نقدية الى ابي فوعدني وعداً جازماً ولكنه لم يعد لمواجهتي مرة اخري وقد سألت عنه من عبد الرحيم محمود فقال لي انه سافر وقد استأت منه لأنه لم يأت لاستلام الامانة لابي كما وعد .

هل لم تسأله عن اسم الشخص الذي اتاه بالخبر من اهل البنت ؟

— نعم سألته فقال انه احد اصدقائه و كتم عني اسمه لكنني اعتقد ان جميع اسراره كانت مع عبد الرحيم محمود .

— اذن ارجوك ان ترشدني في صباح الغد الى دار عبد الرحيم !

— لقد انتقل هو الآخر الى دار اخرى لااعرف مكانها ولا اريد مقابلته لانني لااطيق رؤية وجهه وهو يكرهني كما اكرهه .

– ولماذا هذا البغض ؟

على اثر استفسارك مني عن خليل سألت عبد الرحيم عنه فقال لااعلم فقلت كيف لاتعلم وهو ضيفك فقال انه اخذ امتعته من بيتي وسافر وانا غائب عن البيت اثناء وجودي في الوظيفة فقلت له اين ترك لك مفتاح غرفتك اذا صح انه غادرها في غيابك فاحمر وجهه وتضايق من كلامي ولم يجب على هذا السوآل بل ولى وجهه غاضباً وانصرف ولم نعد نتحادث بعد ذلك التاريخ ٠

– هل قال لك انه مفقود له شيء من عتاد المسدس على اثر سفر خليل ٠

– كلا لم يذكر شيئاً من هذا ٠

– كنت كلفتك في احد تحاريري بان تسأل قائد الشرطة عن التحقيقات التي اجراها بشأن خليل بعد ان كتبت له بهذا الخصوص فهل سألته :

– نعم انني بعد ان تركت عبد الرحيم محمود ذهبت الى قائد الشرطة واطلعته على كتابك المرسل الي وقلت له ان يستجوب الشرطي عبد الرحيم استجواباً دقيقاً ويسأله اين ترك خليل له المفتاح حينما سافر فقال «طيب سننظر في الامر »٠

– الم تسأله ماذا فعل بعد ذلك ؟ ٠

— كلا ، ولكنني في منتصف شهر مايس ذهبت الى غزة باجازة عشرة ايام وبعد رجوعي لعمان استدعاني وكان خارجاً من مكتبه في طريقه الى منزله فمشيت معه وكان يمشي على مهل وسألني قائلا :

— هل رأيت خليل رمضان في غزة فأجبته نفياً وقلت له ان اكثر اقاربه في غزة سألوني عنه باهتمام ثم راح يسألني عنك اسئلة دقيقة لا ادري ماذا يقصد منها بدأها بقوله :

هل قابلت اخيه اديب في القدس فقلت لم استطع مقابلته لانني لم اقدر على المكوث في القدس فقال بماذا يشتغل أديب قلت كاتب استدعات للعدليه وراح يستوضح مني عنك باسئلة كثيرة لا اتذكرها وكان يصغى الي بأهتمام وقد استمر الحديث برهة تزيد على ربع ساعة ...

— مادام انه كثير التدقيق في سؤالاته فلماذا لم يكن يدقق حين ان بعث الي بجوابه عن خليل ؟

ولماذا تكون اسئلته الدقيقة متجهة نحوي ولا تكون نحو الرجل المفقود ؟

— هو وحده يستطيع الاجابة على سوآلك هذا ياصديقي ....

قال هذا وعلت شفتيه ابتسامة عريضة كانت أفصح من الكلام .

وعند هذا الحد انقطع حديثنا في تلك الليلة وبعد ان شكرت الصديق

على المعلومات التي ادلى الي بها انتقلت الى غرفتي للراحة والمنام .

. . .

كان من اللازم علي ان ابحث عن اخي من معارفه واصدقائه مع التأني والتروي ومن اللازم ايضاً ان اشتغل بقدر الامكان لاكتساب نفقاتي ولذلك بادرت في صباح اليوم التالي الى طلب رخصة لكتابة الاستدعاآت فصدرت بتاريخ ٥—١٢=٩٢٩ وباشرت العمل .....

***

كنت لاازال اذكر ان اخي خليل حينما عاد من غزة الى القدس قاصداً عمان ابرق الى عمان برقية لرجل لم اتذكر اسمه ولكنني اذكر ان لقبه (الحشاش) ويقول له في البرقية (متوجه لطرفكم) والتوقيع ... لم أذكره وكنت سألت خليلاً عن علاقته بالرجل الذي ابرق اليه فقال انه صديقه ولم يزد على ذلك .

بعد ان فرغت من عملي قصدت منزلي الجديد فوجدت السيد حافظ مرشد جالساً يستريح بعد الغذاء فسألته :

– هل تعرف ان لأخي صديقاً يلقب بالحشاش ؟

– نعم واسمه جميل الحشاش فهو صاحب فرن في محلة المهاجرين وهو ايضاً صديق للشرطي عبد الرحيم محمود وكانت تربط بين الثلاثة علاقات الأنس والطرب ولهو الشباب وقد طالما كان جميل الحشاش يدعوا خليلا وعبد الرحيم لقضاء ليالي المسرة في داره !

– بئست العلاقة التي تبنى على اللهو وطيش الشباب فقد دلت التجارب على انها او هى العلاقات واجلبها للشر فالصديق الذي تربطك به غاية نبيلة لاتتبدل صداقته والصديق الذي تربطك به المصلحة تنتهي صداقته غالباً بانتهاء المصلحة اما الصديق الذي تجمع بينك وبينه الملاهي او الألعاب او المعاصي فلا بد من ان يصبح عدواً لك او تنالك المضرات بسببه ولا تنتظر منه وفاءً مهما بالغت في اكرامه هذه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا والآن هل تريد ان نذهب بعد صلاة العصر لمحلة المهاجرين فترشدني الى فرن جميل ؟

– حباً وكرامة .

ذهبنا لمقابلة جميل فوجدناه في فرنه يخبز خلف بيت النار وبعد ان بدأناه بالسلام قال له حافظ افندي :

– اعرفك على صديقي اديب افندي رمضان شقيق صاحبك خليل افندي !

— اهلا وسهلا بك وبالسيد اديب تفضلوا اجلسوا . طمنني عن صحة الاخ يا اديب افندي !

خليل هو اعز اصدقائي انشاء الله يكون بخير وعافيه . انني مستاء منه لقطعة المخابره عني . هذا تقصيرٌ عظيم منه في واجبات الصداقة ! قل لي كيف حاله ؟ .

— اننا نجهل محل وجوده ولم يكاتبنا من يوم ان استقال فهل اخبرك قبل سفره الى اين مراده السفر .

— نعم اعلم انه ذهب لفلسطين باجازة ثم لم اره بعد ذلك .

انه عاد لعمان بعد انقضاء اجازته فهل رأيته بعد رجوعه من الاجازة ؟

— كلا لم اره وهذا تقصير لاغتفره له . ولكن هل يحق له ان لايواجهني بعد رجوعه من الاجازة ، ما كان املي فيه هكذا !

— ولكنه ارسل اليك من القدس برقية وبها يخبرك انه متجه لعمان .

— لم يصلني منه برقيات مطلقاً .

— كيف تقول هذا الم تصلك ؟ ان البرقية التى ارسلها من القدس كانت لاسمك بكل تأكيد وقد وقع عليها باسم مستعار لااتذكره الآن .

— من يوم ان خلقت الى الآن لم تأتني برقية لامنه ولا من خلافه

ويظهر انك واهم او مخطيء في اسمي .

— ربما ! كل شيء محتمل . والآن كل قصدي من المجيء الى هـذه المحلة البحث عن مسكن للأيجار لأن المناخ هنا اوفق للصحة من اواسط البلدة وسوف اعود لعندك اذا وعـدتني بايجاد غرفـة او دار صغيرة في هذه الجهة .

سافتش لك عن دار مناسبه والمساكن في محلتنا هذه ارخص ايجاراً من قلب البلد ...

تركناه وخرجنا من الفرن فقلت لحافظ افندي ارجوك ان لاتنسى ماسمعته منه عن انكاره وصول البرقية اليه .

كنت على شبه اليقين من ان الحشاش قد كتم عني الحقيقة ولهجته المصطنعة كانت تنم عن ذلك فقررت ان ابحث من دائرة التلغراف عن البرقية مادام ان التاريخ معلوم ...

***

في ٦ — ١٢ — ٩٢٩

ذهبت لمركز الشرطة بقصد مقابلة الشرطي عبد الرحيم محمود فقيل لي انه ذهب بوظيفة لذلك كلفت بعض الشرطيين الذين وجدتهم في المركز

ان يبلغوه لزوم حضوره لمقابلتي في مكان عملي بجانب العدلية «وهي لاتبعد عن مركز الشرطة اكثر من مئة خطوة»

...

في ٧—١٢— ٩٢٩

ذهبت ايضاً لمركز الشرطة وسألت عن الشرطي عبد الرحيم محمود فلم اجده في المركز وقال لي احد الشرطيين :

— قد اخبرناه امس ان يقابلك وعرفناه عن مكانك فهل اتى لعندك امس ؟

— لم يأت والآن ارجوا ان تسلموه هذه التذكرة وقد كتبت له فيها ان يتكرم بمقابلتي عند اول فرصة ووضحت له العنوان .

***

مرت الايام والاسابيع وانا ابحث عن عبد الرحيم محمود وارسل له الخبر يومياً ليقابلني ولكن بدون جدوى هذا مع العلم بانه في عمان ولم يغادرها في هذه المدة وقد استنتجت من ذلك بانه يتحاشى مقابلتي فهل اصرف

النظر عن هذه المقابلة ؟

لن استطيع صرف النظر عن مقابلة هـذا الرجل لاستجلاء امره فخليل اختفى في البرهة التي كان خلالها ضيفاً عنده والوصول الى معرفة سر هذا الاختفاء وكيفيته لن يأت الا عن طريقه ·

أذا كان في الامر جناية فلا يمكن ان يكون هذا الرجل جاهلا وقوعها فهناك احد الاحتمالين ·

اما ان يكون عبد الرحيم محمود اغتال صديقه طمعاً فيما لديه من المال ثم اخفى جثته او ان اهل البنت قد اغروه بالمال واتفقوا معه على قتله واخفائه وليس لدي من المعلومات مايجعلني افكر في وقوع سبب آخر للأختفاء خصوصاً وانني قد علمت بأن الفتاة لاتزال في دار اهلها اذن لامجال للظن بان خليلا تعمد الاختفاء بسببها ، هذا ما كنت احدث به نفسي حينما افكر بتهرب عبد الرحيم محمود من مقابلتي وكنت على مثل اليقين بانه سيحاول تضليلي عندما اسأله عن أخي ولكنني كنت اؤمل بان اجد لتحقيقاتي نوراً من بين ثنايا التضليل ·

***

سألت عن عبد السلام الغزاوي الذي كان قائد شرطة عمان او رد

اسمه في كتابه المعلوم فقيل لي انه كان في الماضي يشتغل بوظيفة آذن في دائرة رئيس الوزارة ثم اصبح خادماً خصوصياً للرئيس في منزله وانه من المقربين اليه وانه من بلدتناغزه ويقال له عبد السلام كدر وان المودة بينه وبين اخي خليل قد توطدت مدة وجودهما معاً بدائرة الباشا الرئيس .

قابلت عبد السلام في السوق وتواعدنا على ان ازوره في منزله الخاص فزرته في مساء ١٠–١٢–٩٢٩ .

قابلني عبد السلام ببشاشة وترحيب وما كدت اجلس قليلا واشرب الشاي الذي هيأه بعجلة دخل علينا شاب قال لي عبد السلام ان اسمه محيي الدين البيتماني وانه من اصدقاء اخي خليل وانه سفرجي عند حسن خالد باشا فتذكرت انه الشخص الذي كان اخي شوكت اخبرني في احد تحاريره بانه كتب اليه يستفسر منه عن خليل فلم يأته منه جواب فسلم علي وجلس .

ابتدأ عبد السلام حديثه عن غزة ومن في غزة وعن صداقته لخليل وعن اسفه لأنه قطع عنه المخابره وكان يتكلم بالجملة فلا يترك لغيره فرصة للجواب ويقفز في حديثه قفزاً من موضوع لآخر فهو ثرثار بكل معنى كلمة الثرثرة وقد ضقت ذرعاً لضياع الوقت دون ان اتمكن من الاستفهام منه عما اتيت لأجله واخيراً انتهزت فرصة توقفه عن الكلام لحظة فقلت له :

– انني اتيت عمان لكي ابحث عن اخي خليل بسبب اختفائه وانقطاع اخباره فهل لديك معلومات تفيدني ؟

– قد علمت بوصولك من ايام و كنت ارغب في المجئ لعندك ولم تحصل لي فرصة .

ان فكري مطمئن من جهة خليل وقد قابلته آخر مرة في موقف الشونه اي في منتصف الطريق بين القدس وعمان حيث كان عائداً لعمان من اجازته و كنت انا ذاهب الى فلسطين و كان راكباً في السيارة فلما رآني استوقف السائق وتحادثنا طويلا وقد اخبرني انه سوف يستقيل حال وصوله عمان ويسافر الى جهة بعيدة ولا يعلم بمحل وجوده احداً واظن انه ذهب الى الحجاز او الى العراق لأنني كنت اسمعه في الماضي يقول بانه سيسافر لبغداد او لجدة وهناك يشتري لنفسه اوتوموبيل ويشتغل عليه ..

– هل تعرف الأسباب التي تحمله على كتمان محل اقامته عن الناس ؟ .

كلا ولكنني اعرف ان خليل يحسب لبعيد .

– هل قابلته بعد اجتماعكم في الشونه ؟

– كلا لأنني عندما رجع الباشا من القدس لعمان سافرت من القدس بأجازة لغزة ولما ان رجعت لعمان كان خليل قد استقال وسافر .

— ممن علمت بسفره ؟ ...

— من الشرطي عبد الرحيم محمود وقد سألته الى اين سافر فقال لاأعلم لأنه اخذ امتعته وشنطاته من البيت وانا غائب وترك لي ورقة يخبرني فيها انه مسافر .

— هل اطلعك عبد الرحيم على الورقة التي تركها له خليل ؟

— طلبت منه رؤيتها فقال انه مزقها .

— هل سألك قائد الشرطه عن خليل ؟

— نعم واخبرته بما قلته لك الآن .

— هل قلت له بانك كاتبتني بخصوص خليل ؟

— كلا لم اقل له شيئاً من هذا .

— هل تعلم بأن اخي كان مديوناً لأحد في عمان .

— لاعلم لي بانه مديون لأحد . انه كان يتعامل مع تاجر اسمه علي العمد و كان له دين في ذمة التاجر المذكور ولم يكن مديوناً له ولا لغيره واظن انه اخذ ديونه من علي العمد قبل سفره ...

استلفت انتباهي ان الدموع كانت تترقرق في جفون عبد السلام طيلة وقت الحديث و كان يحاول اخفاءها وقد جففها بمنديله مراراً فسألته مستفهماً :

— مابالك تبكي ياعبد السلام ؟

— انني كلما تذكرت خليلا واخلاق خليل والأيام السعيدة التي قضيناها معاً يغلبني البكاء

— ولكن بكائك يوهمني ويدفع الى نفسي الشكوك فهل تعلم بشيء كتمته عني ؟

— لا ٠٠ لاتخف على خليل فقلبي مطمئن بأنه حي وانه سافر وقطع المخابرة لأمر في نفسه يعلمه الله ٠

— اذا كان هذا ماتظنه وتعتقده فلاموجب للبكاء ياحضرة الاخ !

— صحيح ولكن فراق خليل صعب علي ، ان خليل اعز عندى من نفسي ولا استطيع كف دموعي كلما تذكرته ، لقد كنت اعتبره اخاً واقول للناس انه اخي ولكي تصدقني سأريك كيف انني آخيته وانتسبت اليه ٠٠

ثم نهض عن كرسيه وهو بحالة تهيج غير اعتيادي وفتح حقيبة ملابسه واخرج منها ورقة ناولنيها وقال :

— انظر ان هذه الوثيقة كانت باسم خليل اعطيت اليه حينما قطع علاقته من الجيش الحجازي فاعطانيها وانا محيت اسمه عنها و كتبت اسمي مكانه وابقيت اسم والده كم على اصله فبعد ان كانت باسم النائب خليل ابن اسعد رمضان صارت باسم النائب عبد السلام ابن اسعد رمضان ٠٠٠ أن فرط اخلاصي لخليل جعلني انتسب لكم اثباتاً للمواخاة ٠٠٠

ثم التفت الى محيي الدين البيتماني الذي كان يصغي الى حديثنا وهو صامت وقال له :

— الا تعلم ياسيد محي الدين مقدار محبتي لخليل وبانني كنت اناديه أخي .

فأجابه محيي الدين :

— نعم كما تقول .

تناولت الورقة من يد عبد السلام فاذا هي وثيقة ترخيص معطاة لأخي من قبل محافظ الخط الحديدي الحجازي لم اذكر تاريخها بالضبط ولكن التاريخ يوافق برهة انسحاب الملك علي ابن الحسين من جدة حيث صار ترخيص الجند التابعين للحكومة الحجازية وكان خليل من ضمنهم وعبد السلام محى اسم خليل من الوثيقة وكتب اسمه مكانه وابقى الرتبة واسم الأب واللقب مكانه وبعد ان امعنت فيها النظر وعرفت ان اسم عبد السلام مكتوب بخط غير خط خليل اعدتها لعبد السلام فاعادها لحقيبته ..

العمل سخيف من جميع وجوهه يتناسب مع عقلية عبد السلام وقد حملته على محمل البساطة منه وحسن النية ولم ارغب في اساءة الظن بالرجل واعتبار تحريفه هذه الوثيقة دليلا على ان له علماً باسباب اختفاء خليل وانه لم يحرف الوثيقة الا بعد أن اطمأن بأن صاحبها قد طوته الارض .

أليس ان عبد السلام قد اظهرها من تلقاء نفسه بدون ان يكون لدي علماً بامرها ؟

ولكن الدموع ! .. دموع عبد السلام بماذا استطيع تفسيرها ؟ ...

هل اقول انها برهاناً على اخلاصه لصديقه خليل واسفاً على فراقه ..
ام اقول انه يعلم بأمر شيء لايجرؤ على افشاءه لسبب قاهر ؟ الم يخبرني حافظ افندي مرشد بأن رئيس الوزارة كان قام بتحقيقات خاصة للبحث عن خليل فالى اي نتيجة وصلت تحقيقاته ؟

هل وصلت الى اطلاعه على جناية وقعت فكتمها وما دام ان عبد السلام هو خادم الباشا الأمين أليس محتملاً ان يكون الباشا امره بكتمان معلوماته ؟

كنت افكر بهذا الامر بينما كان عبد السلام يحدثني باحاديث خارجة عن الموضوع ويقفز كعادته من موضوع لآخر فقلت له :

بلغني بان حسن خالد باشا كان اجرى تحقيقات خاصة عن خليل فهل اطلعك عليها ؟

— الباشا كان قال لي انكم كنتم اليه مستفسرين عن خليل وقد سألني فأجبته بما اخبرتك به ولا اعلم انه حقق من اشخاص آخرين ..

تركت عبد السلام يهيء لنا الشاي والتفت الى محيي الدين

البيثماني اسأله عن معلوماته من جهة خليل فقال :

صداقتي لخليل ابتدأت من يوم تعيينه في دائرة الباشا وفي ليـلة ان هاجمه البلابسة وهو نائم بعد هرب البنت كنت من شهود الحـادث وانا الذي نبهت الباشا من نومه عندما هجموا على خليل وقد ادليت بشهـادتي لمحققين ولولا عفو الامير لما خرجوا من السجن الى اليوم .

— هذا امر قد انتهى في حينه فما هي معلوماتك عن اختفاء خليل ؟

— ان خليلاً بعدان استقال وسلم تجهزاته لمستودع الجيش اتى لدار الباشا بملابس ملكية وكان له بذمة الباشا خمسة وعشرين ليره فلسطينية رصيد حساب من قبل ان ينقل لمعان فطلبهم من الباشا واستوفاهم بحضوري ودعوته للعشاء فتعشى معي وقال لي بانه سوف يسافر لفلسطين فاعطيتـه صورتي تذكاراً ووعدني ان يرجع لعندي في اليوم التالي ليعطيني احدى صوره وقد استوثقت منه على وعده وكلفته ان يجعل مجيئه مساء لنتعشى سوية ولكنني انتظرته في اليوم التالي الى مابعد الساعة التاسعة مساء فلم يحضر ولم يرسل خبراً ولم اتناول عشائي الا بعدان يئست من مجيئه وكنت اعرف بانه نازل في بيت الشرطي عبد الرحيم محمود فذهبت الى عبدالرحيم في عصر اليوم الثاني وسألته عنه فقال انه سافر وقـد استغربت امر سفره قبل ان يفي بما وعدني به ويقول لي وداعاً ياصديقي ...

— هل تعلم ان لخليل اصدقاء غير عبد الرحيم ؟

— اعرف رجلاً اسمه صالح ابو مرشد فلسطيني من قريه عقربا كان خليل يثق به كثيراً ويحبه وهذا الرجل كان في عمان حينما استقال خليل من الشرطة ولكنني منذ مدة طويلة لم اره فيحتمل ان الآخر قد سافر من عمان .

***

في — ١١ — ١٢ — ٩٢٩

ارشدني الصديق السيد حافظ مرشد الى الدار التي كان يسكنها هو وعبد الرحيم في البرهة التي اختفى فيها خليل فأشار الى غرفة في الطابق العلوي وقال في هذه كان عبد الرحيم وفي الغرفتين المجاورتين لها كان مسأجرين آخرين ومن تفحص المكان ايقنت بانه لايمكن حدوث جناية في غرفة عبد الرحيم في حالة وجود الجيران اللهم الا اذا كان المجني عليه راقداً او فاقد الوعي نزلنا الى الطابق الارضي وكان السيد حافظ يسكن احدى غرفه سابقاً فوجدت ان ارضه من التراب وبها اكوام من الحجارة ومصاطب وغرف مظلمة تصلح لأن تكون مخازن او اسطبلات ومن السهل اخفاء جثة رجل في ارض احدى الغرف كما ان بجوار الدار المذكورة خرابة قديمة يسهل فيها الدفن وقد علمت بانها مهدمة منذ سنوات عديدة فقيدت ملحوظاتي في المفكرة .

في ١٢—١٢—٩٢٩

صعدت في مساء هـذا اليوم لدار حسن خالد باشا رئيس الوزارة بقصد مقابلته في منزله الخاص «وكان قد انتقـل الى دار اخرى غير دار ابو الفتاة» فلم اجده فجلست للراحة عند الشرطي الموظف للمحافظة عليه واسمه سليم شما فلسطيني من صفد وفي خلال الحديث علمت منه انه كان سجاناً في الوقت الذي صار فيـه توقيف اخي خليل في مستشفى السجن بسبب هرب الفتاة البليبسية وان خليلاً كان يحدثـه في ذلك الحين بان مراده الاستقالة من عمان والسفر الى الحجاز وانه عازم على شراء سيارة بما لديه من النقود ليشتغل عليها في اراضي الحجاز وانه بناء على هذا يظن بان خليلاً قد سافر للحجاز فسألته :

— هل قابلت خليل بعد خروجه من السجن ؟

— نعم قابلته بعد ان استقال وكان بملابس ملكية وقد اخبرني بانه سوف يسافر الى الشام ...

وفي اثناء ذلك حضر سائق سيارة رئيس الوزارة وهو من جراكسة عمان واسمه حربي فأكد لي ماقاله سليم شما عن ان خليلاً بعد ان استقال قال بانه مسافر للشام ثم راح يقص علي ما كان بينه وبين خليل من صداقة وقال بان البلابسه كانوا اتهموه بالاتفاق مع خليل على تهريب الفتـاه في سيارة الباشا وانه اوقف في السجن الى ان ظهر كذب الشهود وثبتت براأته.

في — ١٣ — ١٢ — ٩٢٩

قبيل الغروب بينما كنت ذاهباً الى المنزل الذي استأجرته في محلة المهاجرين مررت من امام مخفر الشرطة المشرف على الطريق فدعاني المفوض السيد عبد القادر القطب للجلوس و كان بجانبه مفوض آخر لا اعرفه فلما ان جلست اشار السيد عبد القادر الى المفوض الآخر وقال لي :

— اعرفك على حضرة مفوض المركز عبد الرحمن افندي وهو فلسطيني من يافا .

— حصل لي الشرف ...

عند ذلك ابتسم عبد الرحمن افندي وقال :

— كان اخوك السيد خليل صديقي فهل عثرتم على محل وجوده ؟

— كلا الى الآن لم نستطع معرفة مقره .

— عندما كتبتم الى قائد الشرطة للبحث عنه كان القائد احال الي امر التحقيق فاهتممت للأمر كل الاهتمام وبعد التحقيق علمت من تاجر كان ذهب من عمان الى الشام بانه رآه في الشام في احدى مقاهي الدرويشية وقد سأله اخوك عني و كلفه ان يبلغني منه السلام .

— من هو هذا التاجر ؟

— لا اتذكر اسمه الآن و لكنه نابلسي مقيم بعمان وهو رجل يسافر للشام كثيراً ويحتمل انه مسافر لانني لم اره منذ مدة ومتى رأيته ساقول له

ان يقابلك لتستفهم منه وتطمئن ·

— متى رآه في الشام ؟

بعد ان انت المكاتبه منك لبهجت بك ولقيادة الجيش للبحث عنه··

— وهل كان له سابق معرفة بخليل ؟

— هو عندما بلغني سلامه قال لي رأيت في دمشق شاباً كان في الماضي شرطياً بعمان واستقال ولما ان رآني اقبل نحوي وسلم علي وقال لي بلغ تحياتي الى مفوض مركز عمان عبد الرحمن افندي فسألت التاجر عن اسمه فقال بانه نسي اسمه ولكنه ذكر لي اوصافه وهيئته فكانت الأوصاف تنطبق على خليل وحباً في زيادة التأكيد عرضت على التاجر صورة خليل فقال بأن الذي رآه في الشام هو صاحب هذه الصورة ومن ذلك اليوم اطمأنت نفسي لوجوده في الشام وتوقفت عن البحث عنه وقد اخبرت قائد الشرطة بالأمر ····

— اذن فأخي كان اهدى صورته لحضرتك قبل سفره

— كلا بل اخذت الصورة من صديق له اسمه احمد محمود الغرباوي صاحب صالون حلاقة وسوف اعرفك عليه فهو شاب مهذب وصديق لاخيك ···

— اشكرك وارجوك ان تعرفني ايضاً على التاجر الذي راى خليلا في الشام ·

حباً وكرامة متى رأيته سآتي به اليك اليس انك تكون موجود في مكان عملك

— نعم تجدني هناك ٠

انقضت برهة قصيرة وكلانا صامت وكنت افكر كيف ان اخي خليل يبعث بالسلام الى هذا المفوض وحده دون ان يفكر بارسال مثل هذه التحية لاصدقائه الآخرين الذين هم اكثر اتصالاً به مدة وجوده بعمان ثم يبعث بهذه التحية اليه مع شخص لايعرفه حق المعرفة بدليل انه لم يكن يعرف اسمه بل استدل عليه من الصورة كما وانه ليس بصديق للمفوض بدليل ان المفوض لم يتذكر اسمه بل يعرفه بالوجه فقط ثم ليس بالأمر المعقول ان يكون خليل في دمشق ولا يقابل اخاه فيها وان كان قد قبله فكان من الواجب على الاخ الذي في الشام ان يبشرني والمخابره بيني وبينه لم تنقطع ولهذه الاعتبارات كنت على يقين بأن الخبر غير صحيح وتحليله اما أن يكون المفوض اخطأ في الفهم او ان في الامر دسيسة ولكنني تغافلت امام المفوض بانتظار نتيجة الاجتماع بالتاجر الذي اشار اليه ٠

اكتفيت بما سمعته منه واردت ان استأذن للذهاب فاستمهلني عبد الرحمن افندي وقال :

— هل قابلت صبحة التي كانت شريكة لخليل في المعزى ؟

— كلا ومن هي هذه المرأة

— هي امرأة غرباوية (يقصد انها فلسطينية) كان خليل يضع معزاه عندها قبل ان يبيعهم للشرطي عبد الرحيم محمود ويلقبونها بأم علي والمعزى لاتزال عندها بينها وبين عبد الرحيم فهذه المرأة كانت منذ شهرين تقريباً حضرت الى مركز الشرطة وقدمت الينا شكوى بان خليلاً هاجمها ليلا بقصد قتلها وقد اخبرت بذلك الشرطي عبد الرحيم محمود ايضاً ٠

— وما الذي حمل خليلا على مهاجمتها ؟

— انها كانت في الماضي وسيطة المخابرة بينه وبين بنت البلبيسي ويظهر انها كانت وشت عليه لأهل الفتاة فاراد الانتقام منها ٠

— هل يمكنكم ارشادي الى دار هذه المرأة ؟

— عبد الرحيم محمود يعرف دارها وسوف ارسله اليك ليذهب معك لعندها ٠

— هل كانت شكوى هذه المرأة على خليل قبل ان يخبركم التاجر عن مشاهدة خليلا في الشام أم بعدها ؟

— لااتذكر بالضبط ٠

ثم قطب جبينه كانه يفحص الذاكرة وقال :

— اظن ان شكاية صبحة كانت قبل ان يخبرني التاجر بايام قليلة ٠

***

بعد مرور اربعة ايام صادفت عبد الرحمن افندي مفوض المركز في السوق فسألته :

— كنت وعدتني ياحضرة الأخ بأن ترسل الي الشرطي عبدالرحيم محمود فهل قلت له ان يقابلني .

— نعم وسيأتي لعندك ..

ثم امسك بيدي ودخل بي الى صالون حلاق فجلس وقال تفضل اجلس ولما ان جلست بجانبه قال :

— من هذه الدكان اخذت صورة خليل التي عرضتها على التاجر الذي اخبرتك بأنه رآه في الشام والان اعرفك على صديقنا احمد محمود الغرباوي الحلاق الشهير وصاحب هذا المحل والصديق الوفي لاخيك خليل .

وجدت امامي شابا في الخامسة والعشرين من العمر او دون ذلك رقيق الجسم عذب اللسان كأكثر اصحاب هذه المهنة فصافحني وحياني ببشاشة ثم التفت الى المفوض وقال :

— كنت ياعبد الرحمن افندي استعرت مني صورة خليل على ان تعيدها الي حالا ولكنك لم ترجعها حتى الآن ؟

— ذلك لأنني سلمتها لقائد الشرطه وقد احتفظ بها بين الاوراق المختصة بالبحث عن صاحبها .

فالتفت الحلاق الي وقال :

– هل يحق لعبد الرحمن افندي ان يستعير مني الصورة بشرط ان يعيدها ثم يبقيها عنده ويحتج بالحجج الواهية ؟

فقلت للمفوض :

– من الواجب ان تسترجعها من قائد الشرطة وتعيدها اليه .

– حسناً ساعيدها اليه مادام انك تريد ذلك

كان حديثنا كله مجاملة وقد سألني الحلاق :

– اين خليل افندي الان ؟

– انني ابحث عنه لأنه قطع عني المخابرة فهل اخبرك الى اين سافر .

– قد اتى لعندي بعد رجوعه من فلسطين وبوقتها استقال واهدى الي صورته تذكاراً وكان في كل يوم يزورني وهو بملابسه الملكية الى ان سافر وبيوم سفره اودع عندي حقيبته مقدار ساعة ثم عاد فاخذها واتجه نحو موقف السيارات ولكنني لاتذكر بالضبط الى اي جهة سافر ، اظن انه اتجه نحو فلسطين . انما كان وعدني بانه عندما يصل الى البلدة التي يريدها سوف يكاتبني ويكتب الي عنوانه فلم يفعل ولم اعلم عنه شيئاً بعد ذلك الا من عبد الرحمن افندي هذا فقد قال لي انه موجود في الشام ومن صديق لنا اسمه لطفي حلاوة الذي رآه في الشام ايضاً ..

فتداخل المفوض في الحديث وقال :

— ان لطفي حلاوه قال انه رآه في فلسطين !

ودارت بين الاثنين مناقشة فهذا يقول ان لطفي شاهده في فلسطين وذاك يؤكد بان لطفي رآه في الشام وقررا اخيراً ان نسأل لطفي حلاوه فقلت :

— اين نجد لطفي لنحل هذه المشكلة ؟

فقال الحلاق :

— انه يتردد على محلنا هذا في اكثر الأيام وسوف ابعثه اليك لتسأله بنفسك ..

— اشكرك فلا تنسى .

وهنا قطعت الحديث فتركت المفوض عنده وانصرفت .

***

في نهار ٢٠—١٢—٩٢٩ كنت في محل عملي عندما اتى السيد لطفي حلاوه وهو شاب من في الثامنة عشر من عمره وابتدرني قائلا :

— هل انت اديب افندي رمضان

— نعم ياسيدي .

— لقد قال لي احمد محمود الحلاق بانك تريد مقابلتي واخبرني

بانك شقيق صديقنا الشرطي خليل افندي ·

— نعم وانني ممتناً لمجيئك فتفضل اجلس · احمد محمود يقول بانك رأيت اخي خليل في الشام فاردت سؤالك عن ذلك ·

— لم تكن مقابلتي لخليل في الشام بل في فلسطين فأحمد محمود مخطيء في الفهم ··

— في اي مكان رأيته ·

— على ما اظن انني رأيته وانا راكب في القطار مابين يافا والقدس ·

— في اية محطة كانت المقابلة ؟

— اظن في محطة اللد او بجوارها لااتذكر بالضبط فقد كان هو في القطار الآخر ولما ان تقابل القطاران لمحته وكان القطار مسرعاً ·

— حسناً متى كان ذلك ؟

— منذ سبعة اشهر تقريباً ·

— هل لاتتأكد التاريخ بالضبط ؟

— لقد حررت تاريخ المقابلة في مفكرتي ولكن المفكرة بقيت مع امتعتي في غور بيسان وسأسافر قريباً الى هناك وعندما اعود سوف ابين لك التاريخ بالضبط ··

ثم ودعني وانصرف ·

***

الى الآن لم التقط خبراً شافياً تطمئن اليه نفسي عن خليل لاختلاف روايات معارفه عنه فالبعض يقولون بانهم علموا منه بعزمه على السفر لفلسطين ومن هؤلاء السيد حافظ مرشد الذي اثق به اكثر من الجميع وهو يؤكد بان خليلاً وعده بأن يأخذ منه امانة نقدية ليوصلها الى والده في غزة ولكنه لم يرجع اليه لتسلم الأمانة وهكذا كان شأن خليل مع محيي الدين البيتماني حيث وعده بالرجوع عليه للمرة الأخيرة ليهدي اليه صورته كتذكار ويتعشى معه اي انه تقيد معه بوعدين ولم يعد مما يدل على ان سبباً فجائياً وغير منتظر انتج اختفائه ..

ومن جهة اخرى فأن خليلاً اخبرني في آخر رسالة منه انه سيأتي لفلسطين مثلما وعدني شفاهاً بينما اخبر اخاه شوكت بانه سيأتي لعنده الى دمشق كما ذكر لي شوكت في رسائله وبعض معارفه بعمان يقولون نقلاً عن لسانه مثل هذا فكيف اهتدي الى الحقيقة من بين هذه المعلومات المتناقضة . الشي المعلوم هو انه كان يريد مغادرة عمان فهل غادرها ؟

لم اجد من يقول لي انه رآه راكباً في السيارة او في القطار ومتجهاً الى احدى الجهات بعد استقالته مع انه ليس بالمجهول وليس بالمعقول ان يسافر لدمشق بدون جواز سفر ويعرض نفسه لخطر الجزاء والمنع ولا يمكن ان يمر في طريق سوريا دون ان يسجل اسمه في جداول المسافرين كالعادة

المتبعة ثم ليس من سبب يحمله على التنكر في سفره لفلسطين او قطع الحدود بدون المرور على المخافر الرسمية وهذه تقيد اسماء الداخلين والخارجين وقد طلبت في تحاريري المرسلة الى قائد شرطة عمان وقيادة الجيش ان يسألوا قلم الجوازات ومخافر الحدود ويراجعوا القيود ليعلموا من اي جهة قطع الحدود فلم يجيبوا على هذا السوآل ولكن لابد ان القيادة سألت عن هذه الناحية ان كان قائد الشرطة قد اهملها ولا اعتقد نه يهملها الا اذا كان يعلم بان لانتيجة من سوآل المخافر ومراجعة السجلات وعلى كل حال فالتحريات الجدية التي اجرتها حكومة شرقي الاردن كما ذكرت في جوابها لحكومة فلسطين تدل على ان هذه الناحية التحقيقية لم تهمل فلو علمت حكومة شرقي الاردن بقطعه الحدود لاعلمتني واعلمت حكومة فلسطين بصراحة وبدون ان تقول « يحتمل ان يكون لدى اخيه الموجود في دمشق بعض المعلومية عنه » وفوق هذا كله لم ار سبباً يبرر لخليل قطع المخابرة عني وعن اخيه في الشام اذا كان على قيد الحياة .

وقد اتضح بأن ماقاله البندقي عساف افندي لأخي شوكت في الشام عن رؤيته خليلا بعمان بعد اختفائه غير صحيح بدليل جوابه الى حافظ افندي مرشد كما وان مانقله ابن عمنا رزق في غزة نقلا عن لسان عابر سبيل مجهول لاقيمه له وقيمة هذين الخبرين صفراً اذا لم تكن قيلت بقصد التضليل ! .

اما قول لطفي حلاوه عن مشاهدته خليلاً بفلسطين منذ سبعة اشهر تقريباً لا يمكن ان اتخذه برهانا اقنع به نفسي (هذا على افتراض صحة الخبر) لأن لطفي لم يحدد المدة تماماً وقد تكون المدة اطول مما قال وتكون عشرة اشهر اي انه رآه حينما كان في فلسطين بالاجازة قبل ان يعود من اجازته ويستقيل، ثم هو يزعم انه رآه في القطار وكان هو في القطار الآخر والقطارين في حالة المسير وقلما يستطيع المرء ان يتأكد من شخص في القطار المقابل في مثل هذه الحالة ..

اما مانقله مفوض المركز عبدالرحمن افندي عن لسان التاجر المجهول فقد حللناه في حينه وعلى كل حال فتصديقه يستوجب ان اقابل التاجر بالذات واستوضح منه . ثم انني في حيرة وتعجب من امر هذا المفوض لماذا لم يقيد اسم التاجر في اوراق التحقيق مادام انه قد استدعى التاجر للشرطة وعرض عليه الصورة وحفظها بين الاوراق ومع علمه بان البحث يستوجب التدقيق في كل شيء خصوصاً وهو على علم بان للرجل المبحوث عنه اعداء سبق لهم محاولة اغتياله قبل اختفائه بمدة بضعة اشهر ؟..

عندما كنت احدث نفسي بهذه الامور كانت الريبة تتقوى في نفسي ولم يبق امامي سوى الاجتماع بالتاجر المجهول الاسم وبعبد الرحيم محمود الشرطي الصديق المخلص لأخي خليل فقد يرشدني هذا الى حقيقة لم يكن يذكرها للاشخاص الذين سألوه قبلي ولا لقائد الشرطة الذي حقق

منه ! . من يعلم ؟ . .

نعم ان تهربه من مقابلتي رغم الحاجي بطلب المقابلة يحملني على اساءة الظن فيه ولكن يجوز ان يكون الظن في غير محله فلننتظر ! . .

لم ارغب طيلة هذه المدة في مقابلة قائد شرطة عمان لأن جوابه لي في كتابه المعلوم وجواب حكومة عمان لحكومة فلسطين بالاستناد الى تحقيقاته طبعاً تحمل على الشك كما قدمنا ولاعتقادي بانني اذا سألته في الوقت الحاضر فجوابه لن يكون اكثر وضوحاً من ماقاله مفوض المركز الذي عهد اليه بالتحقيق . .

. . .

بعد مرور بضعة ايام كنت خلالها احاول الاجتماع بالشرطى عبد الرحيم محمود ذهبت بعد الغروب لدائرة الشرطة لسوآل عنه كالعادة فقيل لي بانه يحرس حارة الشابسوخ فذهبت الى تلك الحارة للبحث عنه ولكنني وجدت في تلك المنطقة شرطياً غيره فقلت له اين عبد الرحيم محمود فقال :

انه يحرس في هذه المنطقة ولكن نوبته الليلة من بعد نصف الليل والآن نوبتي . . . .

اردت الانصراف ولكنه استوقفني بسوآله :

— هل انت اخو صديقنا خليل رمضان ؟

— نعم .

— هل توصلت من تحقيقاتك عنه الى نتيجة صحيحة ؟

— كلا فأن المعلومات والاخبار تناقض بعضها بعضاً .

— سوف تجد الخبر اليقين عند عبد الرحيم فالسر عنده ! . .

« السر عنده » هذه الجملة استرعت انتباهي فقلت للمخاطب :

— هل تظن ان في الامر سراً ؟

— عبد الرحيم يخبرك اذا شاء .

— ولماذا لاتخبرني اذا كنت تعرف او تظن بشيء .

— انا لا اتداخل فيما لايعنيني .

— ان سوآلي منك خصوصي لاعلاقة له بالرسميات فما هي معلوماتك ؟

— انا قلت لك بانك تجد الخبر الصحيح عند عبد الرحيم لعلمي بانه صديق خليل الحميم ولعلمي بان خليلاً يثق به ولا يذهب الى مكان بدون ان يخبره فأرجوك اذا سألت عبد الرحيم لاتقل له بانك قابلتني فأنا لااريد المداخلة بشيء لأن اعدائي كثيرين

كانت الليلة مظلمة والمكان الذي وقفنافيه بعيد عن المصباح فدنوت

منه بخفة ونظرت الى وجهه لاتعرف عليه جيداً ثم قلت له :

— ماهو اسم حضرتك ؟

— اسمي ميخائيل ولكن لاشأن لك باسمي واياك ان تذكرني لاحد لانني كما قلت لك لااتداخل فيما لايعنيني .

تركته وذهبت قاصداً بيتي وقد ادركت بان هذا الشرطي يعلم امراً لايستطيع افشاؤه لسبب اضطراري واستنتجت بانه من العبث استدراجه للكلام بعد هذه المرة فقد قال لي « الدر عند عبد الرحيم » ثم عاد فندم لأنه تفوه بهذه الكلمة والتحقيق في مثل هذه الامور لايتم بطريقة الاكراه ...

***

واخيراً في مساء ١٣ — ١ — ٩٣٠

اي بعد وصولي لعمان بشهر وعشرة ايام استطعت مقابلة الشرطي عبد الرحيم محمود فقد ذهبت بعد الغروب بساعتين الى مركز الشرطة وسألت عنه فقيل لي انه ذهب للحراسة في حي الشابسوخ ذهبت الى الحي المذكور فوجدته يتجول ذهاباً واياباً فبادئته بالسلام ثم قلت له :

— هل انت السيد عبد الرحيم محمود ؟

نعم انا هو !

— وانا اديب رمضان شقيق صاحبك خليل ·

— اهلاً وسهلاً · لقد استلمت التذكرة التي بعثتها الي مع احد زملائي وقال لي مفوض المركز ان اواجهك بجوار المحكمة وقد ذهبت لتلك الجهة مراراً لكنني ماعرفتك فلا تؤاخذني من تقصيري ·

— لاباس ياسيدي ولكن كان في الامكان ان تسأل عني من اصحاب الدكاكين المجاورين للمحكمة او غيرهم ·

— صحيح ولكنني اخجل من السؤآل :

— عجباً · انت في سلك الشرطة قديم فاذا كلفت بحكم الوظيفة بجلب شخص لدائرة الشرطة وكنت لاتعرفه فهل تخجل من سؤآل الناس عنه ؟

— عندئذ تختلف الحالة ·

— هل وصلتك التحارير التي ارسلتها اليك من القدس ؟

— نعم واجبتك عليها بثلاثة مكاتيب ·

— لم يصلني منها ولا مكتوب ياحضرة الاخ !

— اذن فالتقصير من دائرة البريد ·

— ولكن التحارير المرسلة الي من بعض معارفي بعمان كانت تصل الي بانتظام ·

— لربما اكون قد اخطأت في كتابة العنوان .

— محتمل . . . والآن قل لي هل لديك علماً عن وجود صديقك خليل .

— لااعلم محل اقامته بالضبط ولكنني سمعت بأنه كان اتى الى عمان منذ ثلاثة او اربعة شهور ثم ذهب من غير ان يقابلني .

— اربعة اشهر هي مدة قصيرة ولكن من الذي اعلمك عن قدومه لعمان ؟

— اخبرتني ام علي شريكتي في المعزى فقد قالت بأنه في ذات ليلة بينما كانت خارجة من دارها لاملاء جرة الماء واذ بخليل قد فاجأها وقذفها بحجرين كبيرين فهربت منه واستغاثت بالناس فاختفى قبل ان يأتيها المدد وكان يلبس مشمعاً اسوداً وعلى وجهه لثام .

— هل هي واثقة من ان الذي هاجمها هو خليل مادامت تقول انه ملثم .

— لاشك في كلامها فهي تعرف خليلا اكثر من اي انسان آخر بسبب كثرة تردده عليها في الماضي لأنها كانت شريكة له في المعزى التي باعها الي .

— وما هي غاية خليل من مهاجمتها ؟

— ربما كان يقصد قتلها للانتقام منها ،

— وما السبب الداعي للانتقام ؟

— يجوز انه كان سمع عن لسانها كلاماً اغضبه او انها وشت عليه لأهل عشيقته لانها كانت تعرف جميع اسراره مع تلك الفتاة .

— الآن فهمت فاشكرك . هل تستطيع ان ترشدني لدار ام علي ؟

— هي تسكن في هذه الدار المقابلة لنا « واشار الى دار قريبة ومشي معي الى ان وقف عند مدخلها وصار ينادي (يا ام علي — ياصبحة ! » فلم نسمع جواباً فالتفت الي وقال :

اری الدار مظلمة فيظهر انها ليست في الدار او انها قد رقدت غداً ان شاء الله سآتي نحوك ونذهب اليها سوية . . .

عدنا الى الطريق واستأنفنا الحديث فقلت له :

— اخبرني الآن كيف كان سفر خليل من عمان وكيف غادر بيتك ؟

— انه بعد ان رجع من الاجازة قدم استقالته فقبلت فوراً ثم اقام في ضيافتي مدة ثلاثة ايام او اربعة وقبل سفره بيوم اخبرني انه مسافر لفلسطين ولكنني كنت حين سفره غائباً عن داري في الوظيفة وقد تركته في البيت فلما ان رجعت للبيت وجدت انه قد اخذ امتعته وسافر .

— قيل لي انه ترك لك ورقة حين سفره فهل هذا صحيح ؟

— نعم وجدت انه قد ترك لي على الطاولة ورقة ذكر فيها بانه مسافر

وانه سيعود لعمان بعد اسبوع ولكنه لم يعد .

— وهل اخبرك في الورقة عن جهة سفره ؟

— كلا .

— هل احتفظت بالورقة .

— لااتذكر اذا هي فقدت مني او انني مزقتها .

— الم يكاتبك بعد سفره ؟

— كلا لم يكاتبني وهذا مما يستوجب العتب عليه . .

— وهل تظن انه على قيد الحياة ؟

— لاشك في ذلك ولابد ان في نفسه امراً حمله على الاختفاء فعلاقاته بالبنت المعلومة لم تنقطع بعد . ويجوز ايضاً انه سافر للحجاز فقد كان اسم الحجاز يتردد كثيراً على لسانه .

— هل لديك غير هذه المعلومات عنه ؟

— الآن لا ، ولكن سابذل جهدي للبحث عنه ومعرفة محل اقامته وسوف اخبرك قريباً ان شاء الله .

انتهى الحديث فتركت عبد الرحيم وذهبت في طريقي افكر باجوبته وانا على يقين من ان كل ماقاله تمويه بعيد عن الحقيقة الكامنة في صدره ولكن لايسعني الا التظاهر بتصديق اقواله لكي تبقى علاقاتي معه متواصلة وكنت ارغب في السوآل منه « اين ترك خليل له مفتاح غرفته » ولكنني

اعتقدت بانه قد هيأ جواباً لهذا السوآل بعد ان القي عليه من قبل صديقنا حافظ مرشد ومن السهل عليه الآن ان يقول تركه تحت الباب او في مكان كذا لذلك صرفت النظر عن هذا السوآل الذي يبعث على الشك ويحمله على الزيادة في الحذر والتحفظ وكنت على مثل اليقين بأن جواب صبحة عندما اقابلها لن يكون اكثر وضوحاً من جواب عبد الرحيم ولكن التعارف عليها أمر لازم فقد تكون عارفة ببعض ما اريد معرفته فاستدرجها يوما ما الى التصريح بمعلوماتها ..



الفصل السابع

البرهان بين ثنايا التضليل

في ٢٠ — ١ — ٩٣٠ كانت ساعة سعيدة عند ما اقبل الشرطي عبد الرحيم محمود" باشاً مسروراً وبحالة تدل على التهيج النفسائي وقال :

— ابشرك ببشارة حسنة يا اديب افندي ! ان اخاك خليلا موجود في يافا وهو بكامل الصحة !...

— هل اتاك منه رسالة .

— لم يرسل مكتوب وانني الومه على عدم الوفاء وقلة المكاتبة ولكنه اتى من يافا رجل نعرفه اسمه اسعد العنجراوي وقال لي ان خليلا كلفه بان يبلغني سلامه .

— متي وصل الرجل من يافا

— منذ يومين او ثلاثة ايام

— هل سألته ماذا يصنع خليل في يافا ؟

— قال لي انه موظف بوظيفة على المرفأ (الميناء)

— هل هو يعرفه من عمان .

— يعرفه كل المعرفة فمنـذ ان كان خليل يسكن معي كان اسعد العنجراوي يقوم بخدمة بيتنا يملاء لنا الماء ويشتري ما يلزم لنا من السوق وكان اخوك يستخدمه في اشغال كثيرة .

— وماذا كان يعمل العنجراوي بيافا ؟

— كان يشتغل حمالا في المرفأ وسأرسله اليك لتسأله بنفسك

— جداً اشكرك يا عبد الرحيم افندي فلا تسهى عن ارساله الي ..

— سأبحث عنه في السوق ومتى وجدته فسأحضر به لعندك فوراً .

* * *

تلقيت هذه البشارة بينما كنت في محل عملي وكان في المخزن المجاور شاب من معان اسمـه رضا ابراهيم سمع ما دار من الحديث بيني وبين عبد الرحيم فالتفت اليه وقلت :

— هل فهمت ما قاله لي هذا الشرطي ؟

— نعم انه بشرك بان اخاك موجود بيافا .

— ربما انه يعود اليوم او غـداً مع الرجل الذي قال انه اتى من يافا واسمه اسعد العنجراوي فاذا اتيا ارجوك ان تقترب منا وتصغي للحديث وتحفظه بدون ان تجعلهما يشعران باهتمامك للامر فان لي في ذلك مصلحة ستفهمها فيما بعد .

— وما هي الفائدة اذا انا حفظت ما يقولانه ؟

— هي ان تشهد بما تسمع اذا اقتضى الحال .

— وهل تظن انهما يكذبان ؟

— نعم واظن انها دسيسة من عبد الرحيم .

— سأعمل كما تريد !

وبعد مرور نصف ساعة اقبل الشرطي عبد الرحيم ومعه شاب ممزق الثياب حافي القدمين فسلم ثم قال لي :

— ها هو اسعد العنجراوي

— اهلا وسهلا تفضلوا . « وقدمت لهما كرسيان ليجلسا »

— لقد بشرني عبد الرحيم افندي بانك رأيت اخي خليلا في يافافقل كيف شاهدته .

انه بتمام الصحة فقد كلفني بابلاغ تحياته وسلامه الى عبد الرحيم

— نحن من مدة طويلة نبحث عنه ولم نهتد اليه و كنت اظن انه ميت فكيف صادفته

— كنت نازلا نحو الميناء فرأيت خليلا واقفاً عند مدخلها يفتش الداخلين والخارجين فلما رآني سلم علي وحياني وبعد ان انتهى وقت عمله اخذني الى داره ونمت عنده ·

— اذاً هو يعرفك من السابق ·

— كيف لا يعرفني وقد كنت اخدمه دائماً هو وعبد الرحيم وليس عندي اعز منه بين عموم رجال الشرطة ·

— كم ليلة نمت عنده ؟

— ليلتين ثم تيت الى هنا ·

— في اية حارة يسكن ؟

— في المنشية ·

— وهل هو ساكن وحده ؟

— كلا بل هنالك رفيق آخر معه في غرفة واحدة وهو موظف مثله ·

— وما هي وظيفته ؟

— انه لابساً بدلة عسكرية صفراء ومتمنطقاً بحزام جلد ذو نحاسة لماعة صفراء ولا ادري هل هو بوليس ام محافظ في الجمرك ·

— وماذا يلبس على رأسه ؟

— قالباق لا اتذكر ان كان لونه اسود ام اصفر ·

— كان من الواجب عليه ان يعطيك مكتوب لعبد الرحيم افندي ·

— قلت له ان يعطيني مكتوب فقال لي انت مكتوب وزياده فسلم لي عليه ·

— سوف ابحث عنه فاذا ظهر ان بشارتك صحيحة فلك مني مكافأة تسرك ·

ثم التفت الى عبد الرحيم وقلت له اشكرك يا عزيزي ·

· · ·

تركاني وسار كل واحد منهما في طريق و كان جاري السيد رضا المعاني قد سمع جميع مادار بيننا فقلت له :

— هل سمعت ما قاله العنجراوي ؟

— نعم حفظت اقواله حرفياً (واعاد علي الكلام)

— اذاً لا تنساها فسأحتاج لشهادتك ·

ومن حسن الصدفة انه بينما كان عبدالرحيم والعنجراوي يحدثاني كان رجل من موظفي الصحة اسمه محمود اسماعيل المصري واقفاً يسمع ما دار بيننا فقلت له ايضاً : ارجوك ان لاتنسى ما اخبرني به العنجراوي عن رؤية اخي خليلا في يافا ·

فقال : سوف لا انسى ذلك

بعد مرور ساعة تقريباً صادفت عبد الرحيم والعنجراوي واقفان في احدى جوانب السوق يتحادثان وسيماهما تدل على ان حديثهما ذو اهمية

فغضضت بصري متجاهلا رؤيتها ولكنها عند ما رآياني مقترباً افترقا لكي لا اراهما مجتمعين مما جعلني اظن بان الحديث كان في الموضوع لذي اخبراني به

وفي مساء ذلك اليوم اخبرت محي الدين البيتماني بما قيل لي عن وجود خليل في يافا فاستبشر وفرح بالخبر وقال :

— انني مسافر ليافا غداً ان شاء الله وسابحث عنه واقابله ،

ولكنه لما عاد من يافا بعد يومين قال انه بحث عنه في المرفأ وسأل البحرية وموظـفي الجمرك ودائرة البوليس وأمضى يوماً كاملا في الاستقصاء عنه فلم يعثر له على اثر .

بعد ان علمت ذلك من البيتماني بحثت عن العنجراوي فوجدته يتسكع فقلت له ممتحناً :

— ان مرادي السفر الى يافا لرؤية اخي فهل تذهب معي لترشدني الى محله وانا سأدفع نفقات سفرك واجرتك .

— نعم اذهب متى شئت

— اخشى ان تضل عن داره فلا نجده

— انني ادلها (من الدلالة) ولا اتوه عنها .

— اذن سنسافر بعد اسبوع ان شاء الله .

* * *

مع اعتقادي بان ما يقوله العنجراوي غير صحيح فاني كنت ارغب في السفر الى يافا واخذه معي حتى اذا ما تبين بانه كاذب استطيع استدراجه الى الاعتراف بالاسباب التي دفعته الى تضليلي و كنت اعتقد بان الذي اغراه هو عبد الرحيم محمود ولربما يكون له شركاء في ذلك اذ ليس من المعقول ان يكون خليل في يافا بدون ان يكون وجوده فيها معلوماً لدى اعمامه وبني عمه الذين لا ينقطعون عن زيارة يافا اسبوعياً .

اجل انني رغم اعتقادي بكذب العنجراوي كنت مصما على السفر ليافا وبالنظر لقرب يافا من القدس كتبت الى صديق اعتمد عليه في القدس هو السيد درويش هاشم السراج الموظف في مكتب مدير البوليس كلفته ان يذهب ليافا في يوم عطلته الاسبوعية ويبحث عن اخي في الاماكن التي اشار اليها العنجراوى ويسأل عنه من الغزيين المستوطنين يافا ويخبرني نتيجه بحثه فأجابني بكتاب تاريخه ٧ — ٢ — ٩٣٠ قال فيه انه بحث عن خليل بحثاً شديداً و كلف اصدقاءه ان يبحثوا عنه فلم يعثروا له على اثر .

عند ذلك رسخ في نفسي بان يداً اثيمة اغتالت اخي بالاتفاق مع الشرطي عبد الرحيم محمود وتذكرت ما كان كتبه الي اخي عندما كان في مستشفى السجن بعمان عن ان البلابسة قد وعدوا أحد اصدقائه بخمسماية جنيه اذا اغتاله .

وايقنت بان عبد الرحيم محمود قد اغرى العنجراوي على تضليلي ولم

انس بعد التضليل السابق بواسطة عساف ورزق وغيرهما ورأيت بان هـذا التضليل اذا ثبت سيكون دليلا على الجريمة فرأيت ان انتهز هـذه الفرصة واستعين بدائرة الشرطة على اكتشاف سر اختفاء اخي وبعـد ان قررت الخطة الواجب اتباعها صادفت صديقنا الشرطي حافظ مرشد فاخبرته بالامر وبينما كنا نتحادث في الموضوع مر علينا مفوض مركز الشرطة غبدالرحمن افندي فقلت له :

— هل علمت بان رجلا اسمه اسعد العنجراوي اتى من يافا واخـبرني عن رؤية اخي خليلا فيها .

— نعم لقد قال لي عنه عبد الرحيم محمود فاستدعيتـه وسألته بالذات واخبرني بما اخبرك به .

— والآن مرادي ان اسافر ليافا وآخذ معي العنجراوي لكي يرشدني الى مكان اخي .

ففكر برهة ثم قال :

— لا بأس اذا كان هو يوافق على السفر معك .

— انه موافق وسأدفع له بدل عطلته مع المكافأة .

— ومتى تريد السفر .

— بعد يومين او ثلاثة ولكن اتاني من صـديق بحث عن اخي في يافا كتاباً يقول فيه بانه لم يعثر عليه وكذلك ذهب من هنا محي الدين البيتماني الى يافا

وبحث عن خليل فلم يجده فما رأيك ؟

— ان يافا بلدة كبيرة كما تعلم ويمكن انهما لم يبحثا عنه كما يجب .

— محتمل ...

* * *

في ٩ — ٢ — ٩٣٠

في الساعة الثامنة تقريباً من مساء هـذا اليوم صادفت مفوض المركز وكان واقفاً على باب احد المطاعم فقلت له مستفهماً :

— ما رأيك يا عبد الرحمن افندي في مزاعم العنجراوي هل تظن انها صحيحة ؟

— الله اعلم ولكن العنجراوي حشاش مقامر لايجب الاعتماد على كلامه وانني تلقيت امراً من قائد الشرطة للبحث عنه وابعاده لخارج منطقة الامارة .

— ولماذا هذا الابعاد ؟

— لانه كان مبعداً من السابق وقد رجع بدون اجازة

— ألم يكن معلوماً عندكم عندما قابلكم اول مرة بانه مبعد سابقاً فلم لم تقبضوا عليه .

— كنت تغاضيت عنه شفقة عليه والآن تلقيت امراً جديداً بابعاده

لخارج الحدود .

— هل قلت لقائد الشرطة انني ارغب في اخذه ليافا بسبب ما اخبرني به عن اخي ؟

— ان المنجراوي سرسري (متشرد) وليس لاقواله اهمية حتى ابلغ عنها قائد الشرطة .

— ان اهتمامي للفحص عن صحة اقواله هو لانه سرسري كما تقول ولو كان ثقة لما التزمت الى التثبت من كلامه فارجوك ان تخبر قائد الشرطة ليوقف امر تسفيره !

— انه لا يريد السفر معك الى يافا وانت لا تستطيع اجباره .

— ان لم استطع انا فالحكومة تستطيع اجباره

فالتفت الي شاب كان واقفاً بجانبه وقال له :

— انت محامي وتعرف القوانين فهل يستطيع اديب افندي اجبار الرجل على السفر ليافا . فقال :

— لا احد يستطيع اجباره قانوناً .

فقلت للمفوض :

— ان الامر من اختصاصات دائرتكم ومن واجبكم ان تجبروه على السفر الى يافا لاتمام البحث عن اخي الذي اظن بانه مقتول .

— لاتوجد ادلة تستوجب هذا الظن وقد اخبرتك سابقاً انه في الشام .

فتركت المفوض وقد داخلني الارتياب من سلوكه ...

في ١٠ — ٢ — ٩٣٠ : في صباح اليوم قابلت قائد شرطة عمان لاول مرة في مكتبه و كان جالساً وحده وبعد ان سلمت اتكأت بيدي على المنضدة الموضوعة امامه وقلت :

— اخبركم بانني ادعى اديب رمضان من غزه وانني شقيق خليل اسعد رمضان الذي كان من رجال شرطتكم واختفى في عمان على اثر استقالته ولا بد انكم تتذكرون المخابرة التي جرت بيني وبينكم وانا في القدس بعد اختفائه .

كان يصغي لحديثي وهو ساكنا صامتاً ويتفرس في وجهي تفرس الفاحص ثم اشار الى الكرسي الاقرب له وقال تفضل ولما ان جلست قال :

— كنت ولم ازل باذلاً اقصى الجهود في البحث عن اخيك واذا كنا الى الآن لم نتوفق الى تعيين محل وجوده بالضبط فسوف نتوفق الى ذلك في يوم من الايام واؤمل ان يكون عثورنا عليه قريباً .

— هل انكم بعد ان خابرتكم بشأنه سألتم عنه مخافر الحدود ومن قلم الجوازات ؟

— نعم سألنا ولكن لم يردنا جواب يدل على سفره ومن المحتمل انه قطع الحدود بدون ان يمر على المخافر .

— هذا يا سيدي يجوز عند مايكون الرجل متهماً او محكوماً اويوجد

مانع قانوني لسفره وليس هذا حال اخي ٠

— صحيح انني استغرب هذا الامر ٠

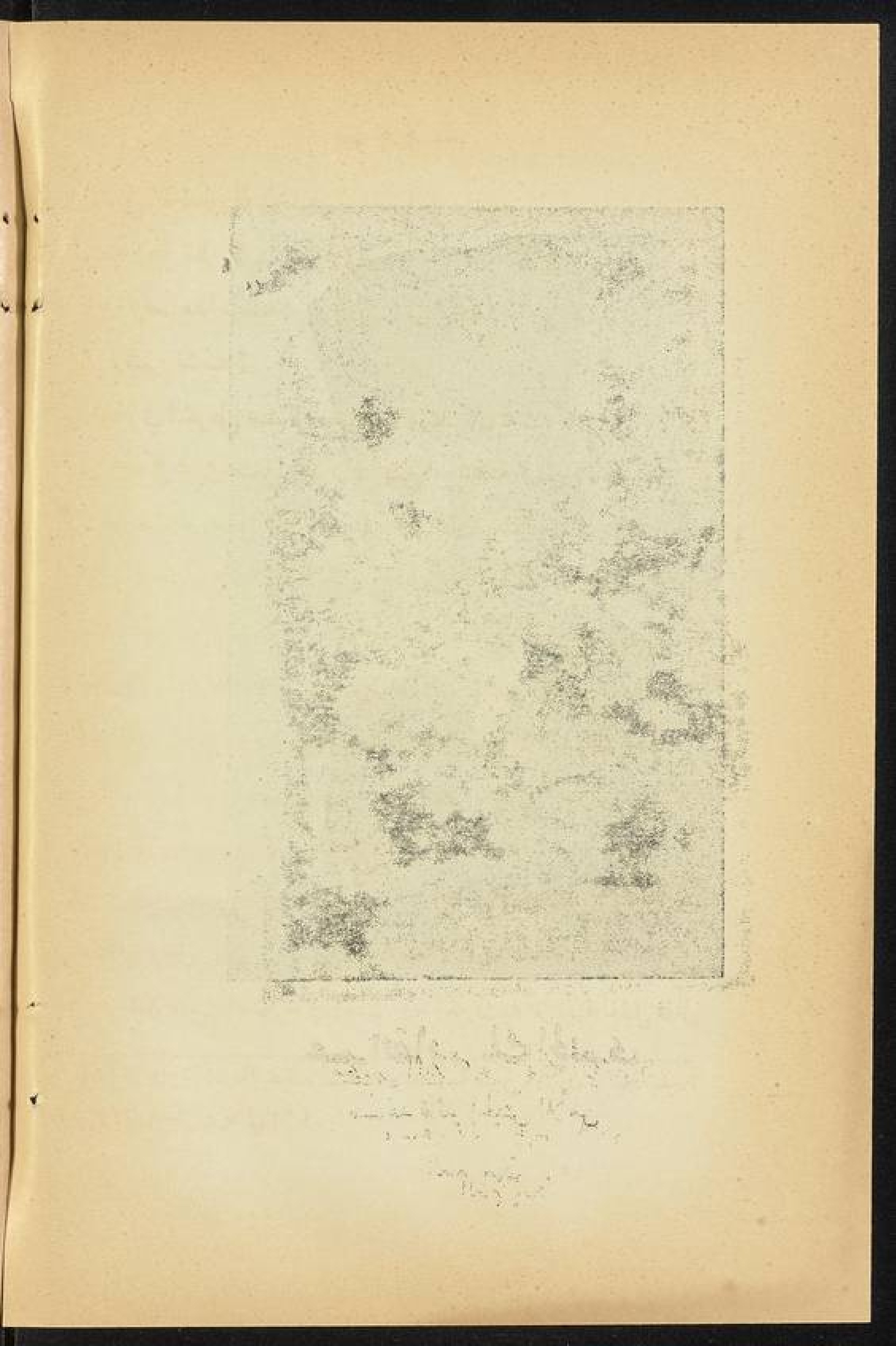
— والآن اخبركم بانني لم اترك باباً للبحث عنه الا وقد طرقته ولهذه الغاية اتيت الى عمان منذ شهرين ونصف وسألت عنه جميع اصدقائه ومعارفه وبالنتيجة اقتنعت بانه لم يغادر عمان بعد ان استقال ومنذ ايام قليلة اتاني الشرطي عبد الرحيم محمود برجل متشرد اسمه اسعد العنجراوي فأخبرني انه قبل مواجهتي بيومين كان في يافا ورآى اخي فيها موظفاً وان اخي دعاه الى داره وقبله ضيفاً فنام عنده ليلتين ولكي استوثق مما قال كتبت الى احد اصدقائي ليبحث عنه ويعلمني فبحث عنه واجابني بهذا الكتاب (واطلعته على ما جاء في كتاب السيد درويش السراج) واخيراً قررت ان اسافر ليافا وآخذ معي اسعد العنجراوي ليرشدني الى اخي او الى الدار التي نام فيها عنده فقبل وقد اخبرت مفوض المركز وكلفته ان يخبركم بالامر ولكنني في الليلة الماضية علمت منه انكم امرتم بابعاد العنجراوي لخارج الحدود فاستغربت من المفوض عدم تنبيه حضرتكم الى ضرورة توقيفه عن السفر لبينما تتضح حقيقة مزاعمه فانا مرتاب لسلوكه هذا ولذا ارجوكم ان تأمروا بمنع سفره ريثما تصلني النقود التي طلبتها من الشام وسآخذه واسافر ليافا ! ثم ناولته ورقة اخبار شرحت فيها كل ذلك ولم انس الفات نظره الى موقف المفوض المريب في ورقة الاخبار ايضاً ٠



عبد القادر بك الجندى

مساعد قائد الجيش للأمن

العام بعمان



تلى القائد ورقة الاخبار ثم وضعها على المنضدة الموضوعة امامه وقال:

– هل تظن بأن العنجراوي مدفوع بما قاله لك ؟

– نعم هذا ماظنه !

وفيمن تشتبه ؟

– في الشرطي عبد الرحيم محمود وربما كان له شركاء

– كل شيء محتمل والآن سأعطي امراً بعدم تسفير العنجراوي ..

رجعت الى محل عملي فمر علي عبد القادر بك الجندي مساعد قائد الجيش للامن العام (*) فانتهزت هذه الفرصة واخبرته بحادثة العنجراوي وملاحظاتي عليها واشتباهي في الشرطي وفي موقف المفوض والتمست منه الايعاز لقائد الشرطة ان يهتم للامر ويوقف تسفير العنجراوي فوعدني بذلك ولما عاد لمكتبه استدعى قائد الشرطة واعطاه التعليمات اللازمة .

* * *

في عصر اليوم التالي اي في ١١ –٢– ٩٣٠ استدعاني قائد الشرطة الى مكتبه وقال :

– لقد جلبت العنجراوي وسألته عما اخبرك به من جهة خليل فقال

(*) ان دائرة الشرطة بحسب تشكيلات حكومة شرقي الاردن مرتبطة بقيادة الجيش وقائد الجيش بريطاني ؟؟؟ .

انه رآه في يافا وانه مستعد ان يسافر معك ولكنه قال بأنه لايعرف مسكن خليل

– انه يكذب فقد قال لي بأنه يعرف داره بحضور شاهدين وزاد على ذلك بانه نام في داره ليلتين وان شئتم احضرهما لعندكم الآن . ان مسألة ادعائه بمعرفة المسكن هي التي اوقعته في ايدينا وجعلت لنا سبيلاً لمناقشته الحساب وما دام قد تراجع وانكر معرفة الدار فقد اقتنعت بأنه كان يقصد التضليل وانه مدفوع لذلك وان في الامر جناية . . .

وما كدت اتمم كلامي حتى رأيت القائد طرق الجرس واستدعى شرطياً امره باحضار العنجراوي فلما حضر قال له بغضب :

– هل قلت لاديب افندي بانك تعرف دار اخيه في يافا ؟ فأجاب :

– انني رأيته في يافا ولكنني لااعرف داره .

استولى علي الغضب فنهضت عن الكرسي بدون اختيار وقلت له : اخبرتني انك نمت فيها ليلتين وانها في المنشية وعندي شهود يثبتون انك قلت ذلك(فتداخل قائد الشرطة في الحديث وقال له :

– والآن تقول بانك لاتعرف الدار ؟

– نعم انني لااعرفها !

أمره القائد بالخروج ثم التفت اليّ وقال :

– دع هذا المجنون ولا تهتم به وانا ساهتم بالامر فكن مطمئن

الخاطر وثق بي .

مهما كان المرء متيقظاً او متخوفا من امر ومهما كانت طريقة الخلاص مما يخشاه سهلة فان القوة السماوية المتصرفة في هذا العالم تذهله عما في نفسه وتسوقه الى حيث لايرغب وتنطقه بما لايريد النطق به بدون ان يكون له في قوله او عمله اختيار هذا قول لايختلف فيه اثنان ممن يؤمنون بقدرة الله تعالى .

وهذا ماوقع فيه العنجراوي بعد خروجه من مكتب قائد الشرطة فانني حينما خرجت من باب دائرة الشرطة وجدته في طريقي كانه ينتظرني فخطر لي ان استدرجه مرة ثانية الى الاعتراف بأقراره الاول ولذلك دعوته الى مرافقتي ولاطفته بالحديث الى ان وصلنا الى دكان زميل لي يشتغل بكتابة الاستدعاآت اسمه كمال الدين افندي زعيتر وكان عنده شريكه عبد السيد افندي برسوم فادخلت العنجراوي معي الى الدكان وقلت له والاثنان يسمعان وقد اشرت اليهما أن أصغيا :

— الم تقل لي يااسعد بأن اخي لما رآك في يافا دعاك الى داره ونمت عنده ليلتين .

— نعم قلت لك ذلك وهو صحيح .

— ولماذا انكرت عند قائد الشرطة ؟

(فسكت ولم ينطق وظهر لي بانه كان خائفاً من ان يقول ذلك امام

القائـد) .

– والآن اذا كان ماقلته صحيحاً فاخبرني كيف رأيتـه في يافا ؟

– فاعاد الحديث واعترف بانه رآه على الميناء ونام في منزله ليلتين وان الدار في محلة المنشية بيافا .

– كان كمال الدين افندي وزميله مصيغان الى الحديث وبعد ان تمم كلامه قال له كمال الدين افندي :

– مادام الامر كما تقول فلا تخف اذا سألك قائد الشرطة مرة اخرى وقررت امامه الحقيقية !

وبعد ان انصرف العنجراوي كتبت صورة اقراره على ورقة وقلت لهما ان يوقعا عليها فأمضياها بدون تردد وحفظتها الحين اللزوم كما وانني اخذت توقيع السيد رضا المعـاني ومحمود المصري اللذان سمعا قوله في اليوم الاول .

وقد اعتقدت ان أحداً في الشرطة قد نبه العنجراوي الى انكار ماقاله قبلاً عن معرفة دار خليل وان في هذا الأمر سراً سوف ينكشف ....

* * *

في ١٢ — ٢ — ٩٣

قبيل الغروب اتى مفوض الشرطة السيد عبد القادر القطب و كلفني ان اكتب له صورة سند وبعد كتابته سأل :

— هل اهتديت الى محل وجود خليل .

— نعم ان عبد الرحيم محمود اتاني برجل اسمه اسعد العنجراوي وهذا اخبرني بان خليل في يافا ...

فهز رأسه دلالة على الانكار وقال :

— انا اظن بأن هذا الشرطي يعرف اين خليل .. لقد كان مفلساً ومديوناً ولكنه في هذه الأيام اصبح يلعب بالليرات والمعزي التي كانت لأخيك صارت له فلا بد من ان في الأمر سراً ! ..

— الله تعالى اعلم ...

ولم استطع التمادي في الحديث معه لأنني لاحظت بأن غايته من المجيء لعندي ليست كتابة السند بل ان غايته أن يقول لي ماقاله وافتكرت باحد امرين :

— اما انه يريد استدراجي بالحديث ليعلم مافي نفسي او أنه يريد ان اكون متيقظاً من نحو الشرطي عبد الرحيم وهذا هو الغالب .

وعلى كل حال فقد فهمت ماقاله واخترت السكوت .

في١٣ـ٢ـ٩٣٠

– بما انني لم اتمكن من تدارك الدراهم الكافية لسفري مع العنجراوي الى يافا فقد اضطررت اليوم ان التمس من عبد القادر بك الجندي مساعد قائد الجيش للأمن العام أن يأمر بتسفير اسعد العنجراوي مخفوراً الى يافا مع احد رجال الشرطة على ان يصير دفع نفقات سفرهما من ميزانية الشرطة والأمن العام فقال :

– سأستأذن من قائد الجيش بيك باشا واطلب منه الموافقة على دفع مايلزم من مخصصات الأمن العام ، وارجوك ان تخبرني بجميع اجرآآتك نحو هذه القضية وبكل مايدور بينك وبين بهجت بك بشأنها لأكون مطلعاً على سير الدعوى بصورة خاصة ..

فهمت مايقصده سعادته من هـذا التنبيه فناولته صورة عن ورقة الأخبار الأولى المعطاة لقائد الشرطة وقلت :

– اذاً تسمحوا الي بعد الآن بأن اقدم اليكم صورة عن كل ورقة اخبار اقدمها للشرطة .

– موافق اشكرك .

* * *

في ١٤-٣-٩٣٠

ذهبت الى بيت (ام علي) شريكة الشرطي عبد الرحيم في معزاه وكانت الساعة الثامنة مساء :

رأيت الباب مفتوحاً والمرأة واقفة في صحن الدار فقلت لها :

— هل انت ام علي شريكة عبد الرحيم محمود الشرطي في معزاه .

— نعم انا تفضل .

اوقدت السراج وادخلتني الى غرفتها فرأيت وجهها على نور السراج امرأة شمطاء تجاوزت الاربعين مجعدة الوجه احدى عيناها نافرة الى الأمام وهيئتها تدل عن مكر ودهاء ولاحظت انها ارتبكت اثر دخولي حتى ان يمناها كانت ترتجف جزعاً عند ما اوقدت النور فانتهزت فرصة ارتباكها وجلست على صندوق خشبي وقلت بلهجة حازمة :

— مرادي ان اسئلك عن شريكك السابق في المعزى خليل ؟

— اصفر وجهها وتلعثم لسانها وقالت بلهجة متقطعة وهي تحاول ضبط عواطفها وكتمان انفعالها :

— والله يااخي لااعلم ..ومن اين لي العلم وانا امرأة جالسة في بيتي منهمكة في اعمالي والكد لمعيشتي .. ان خليل شاب مليح .. انسان الله يجمعكم عليه بالسلامة ...

— تغافلت عنها وصرت التفت في جدران المكان كانني غير مهتم

لما تقول ولبثت صامتاً برهة يسيرة بينما كانت تحدثني بكلمات غير متماسكة ولما عاد اليها اعتدالها قلت:

— متى كان آخر عهدك بخليل؟

— آخر مرة اتى لعندي واخذ ثيابه التي كنت غسلتها له وقال انه مسافر الي معان ولم يعد بعد ذلك ·

— وماذا فعل بالمعزى التي كانت مودوعة عندك ؟

— انه باعها الى عبد الرحيم ·

— كم عددها ؟

— لا اعلم ·

— كيف لاتعلمين وهي للآن عندك ·

— قلت لك انه باعها لعبد الرحيم

— وانا آمنت بما تقولين ولكنني اسألك عن عددها ·

— كان عددها يربو على السبعين ولكنه اصابها مرض أمات اكثرها فبقي ثلاثة وعشرين فقط ·

— وهل انت واثقة من ان خليلا باعهم لعبد الرحيم ·

— نعم باعهم بعلمي وعلم زوجي ·

— طيب وكيف قلتي في دائرة الشرطة ان خليلا هجم ليقتلك ؟

— لم اقل انه خليل بل قلت بانني رأيت رجلين واقفين في الظلام مقابل داري احدهما يرتدي مشمعاً اسود والثاني ملابس عربية والاثنان ملثمان لم اتبينهما فقذفني لابس المشمع بحجر كبير لم يصبني فرجعت الى داخل بيتي واغلقت الباب خلفي وصرت اصيح من الخوف ، اما الرجلان فقد هربا .

— بلغني من مفوض المركز ومن عبد الرحيم ان شكايتك كانت على خليل ؟

— لا . . أبداً . يمكن ان المعتدين هم من اولاد البلبيسي لأنهم كانوا يتهمونني باغراء اختهم حتى انهم يوم هربت البنت هجموا علي شاهرين المسدسات وارادوا قتلي . . .

* * *

في ١٥ — ٢ — ٩٣

— ذهبت الى مركز قياده الجيش وسألت عبد القادر بك الجندي عما اذا كان قد امر بصرف نفقة اركاب العنجراوي مع شرطي الى يافا فقال :

— لقد امرنا المحاسب بصرف المبلغ اللازم واعطائه لبهجت بك

وبلغت بهجت بك ان يستلم منه الدراهم ويرسل العنجراوي من امس .

— ولكنه للآن لم يرسله .

فتناول التلفون واستدعى قائد الشرطة ولما ان حضر سأله :

— هل استلمتم من المحاسب النقود التي خصصناها لارسال اسعد العنجراوي مع شرطيين الى يافا ؟

— لم تصلنا للآن .

— اذن ارسلوا مع احد رجالكم وصلاً بالمبلغ ليستلمه ثم ارسلوا الرجل مع شرطيين ليافا .

— ارى ان الاوفق ارسال مفوض وشرطي !

— هذا شأنكم .

عند ذلك تداخلت في الحديث وقلت للاثنين :

— ارجو ان لا يكون المفوض الذي ستنتدبوه للسفر هو عبدالرحمن افندي اليافاوي فقد تزعزعت ثقتي فيه بعد محاولة ابعاد العنجراوي لخارج الحدود ...

فاصفر لون بهجت بك واجابني :

— انه اراد ابعاده تنفيذاً للامر الذي تلقاه منا قبلاً !

— نعم ولكن كان يجب عليه ان يخبركم بالواقع ويبدي اليكم

ملاحظاته لتنتبهوا وتآمروا بتأجيل امر الابعاد وما دام قد اغفل ذلك فالافضل ارسال خلافه وابعاده عن سير التحقيق في قضية اخي

سكت بهجت بك ولم يجب ولاحظت انه اشمئز من كلامي اما عبد القادر بك فقال لي :

— كن مطمئناً فان بهجت بك سيتخذ الاحتياطات اللازمة لكتمان التحقيقات الجارية عنه .

وقد رأيت من اللياقة ان اترك لهما الفرصة للمذاكرة فاستأذنت وذهبت الى محل عملي .

* * *

في ذات النهار جاءني عبد السلام كدر الغزي وهو يرتجف من الغيظ البادي على وجهه وقال :

— الآن كنت اتخاصم مع مفوض المركز عبد الرحمن افندي فان عرفات لم يقل له بانه رأى خليلا في الشام ولا ادري ماهي غايته مما نقله اليك .

— ومن هو عرفات ؟

— هو تاجر في هذا السوق اسمه عرفات كانون النابلسي وهو عميل

المفوض عبد الرحمن وصديقه وهـــو الذي كان عبد الرحمن زعم عن لسانه بانه رأى خليل في الشام ·

— فهمت ! ولكن باية مناسبة عرفت ذلك ؟

— كان المفوض اخبرني بان خليلاً موجود في الشام وقال لي بان التاجر عرفات كانون قد رآه واخبره عنه واليوم اثناء مروري من امام دكان عرفات سألته عما زعمه المفوض فأنكر العلم وقال بان الرجل الذي رآه في الشام هو شخص آخر وليس خليلاً ·

— متى كان المفوض اخبرك ؟

— قبل اربعة او خمسة اشهر ·

— ولماذا لم تسأل عرفات في ذلك الوقت ؟

— اوف ··· انك تسألني اسئلة تضايق كنت ناسياً واليوم تذكرت والآن قم واسأل عرفات بنفسك ···

مشيت معه الى ان اوصلني لدكان لاتبعد عني اكثر من ثلاثين خطوة واشار الى رجل جالس في صدر الدكان وقال : هذا هو عرفات · فادخل وحدك واسأله ولا اريد ان يراني معك !

رأيت نفسي امام دكان طالما شاهدت مفوض المركز جالساً فيها في اوقات فراغه وقلت في نفسي :

مادام هذا هو التاجر الذي كان المفوض اخبرني عنـــه ، وما دام انه

صديقه ويزوره في كل يوم فلماذا قال لي انه مسافر وتجاهل معرفة اسمه ؟؟ ثم انني طالما دخلت الى هذه الدكان ورأيت المفوض جالساً مع هذا الرجل عندما كنت اشتريت منها بعض حاجاتي فلماذا لم يقل لي المفوض ان هذا الرجل هو الذي رأى اخي في الشام . ان هذا مما يؤيد ماذهبت اليه من اسائة الظن في المفوض :

دخلت الى الدكان وبعد ان سلمت على الرجل قلت :

— هل انت السيد عرفات كانون ؟

— نعم انا .

— هل قلت للمفوض عبد الرحمن بانك رأيت في الشام خليل اسعد رمضان الشرطي السابق وانه كلفك ان تبلغ السلام اليه .

— ياأخي ارجوك ان تعفيني من الاسئلة التي توجع الرأس ...

— كيف ؟. ولماذا ...

— نعم انا كنت في الشام لمشترى بضاعة فصادفت فيها شاباً عرفت بانه كان شرطي بعمان ولم اعرف اسمه فسلم علي وقال سلم على المفوض عبد الرحمن ولما ان رجعت لعمان اخبرت المفوض فقال لي ما اسمه قلت لاأعرف واخيراً طلبوني الى دائرة الشرطة وعرضوا علي صورة اخيك خليل فقلت لهم ان الذي رأيته في الشام ليس بصاحب هذه الصورة وانتهى الامر . وانا اعرف خليلا شخصياً أليس هو الذي كان خطف بنت

البلبيسي ؟

— نعم هو بذاته ·

— ليس هو الرجل الذي رأيته في الشام ·

وهكذا تركت عرفات بعد ان اصبحت على يقين بأن مفوض المركز كان يقصد تضليلي وانه سعى للتضليل من قبل مجيئي لعمان وموه على رؤسائه الذين اناطوا به مهمة البحث عن اخي ··

ذهبت تواً لعند قائد الشرطة فأخبرته بالامر وقلت له : ان مرادي تقديم شكاية ضد عبد الرحمن فما رأيكم ؟

— ثق بي يا اديب افندي ودعني اعمل مايلزم لاظهار الحقيقة واترك المفوض الآن فلربما ظهر لنا في المستقبل انه بريء فلاتستعجل ·· واخبرت عبد القادر بك فقال : لابأس اصبر واخبرني بكل مايجري !··



تابع

الفصل السابع

الاعتراف الاول

في ١٨—٢—٩٣٠

هذا اليوم استدعي اسعد العنجراوي الى مكتب مساعد قائد الجيش للامن العام وعرضت عليه جملة صور بينها صورة خليل فعرفها من بين الصور واكد الى عبد القادر بك انه رآه في يافا ورقد في منزله ليلتين

في ٢٠—٢—٩٣٠ : كنت منذ ايام كلفت رجل اسمه صالح الحفني (وهو من اهل غزة ومستوطن عمان) بان يستدرج اسعد العنجراوي الى الاقرار بالاسباب التي دفعته الى ان يخبرني عن وجود خليل في يافا وهل هو صادقاً ام كاذباً فيما قال ، وكان بين الحفني والعنجراوي روابط قديمة وقد قابلني الحفني هذا اليوم وقال :

— انني ابحث عنك فاين كنت

— وهل من خبر جديد

— نعم . ان العنجراوي اعترف لي بامور مهمة . كان امس مار آمن هنا فناديته وانفردت به وقلت له بلغني بان اديب رمضان سوف يأخذك معه ليافا لترشده الى مكان اخيه وانا انصحك يا اسعد لوجه الله . ان كان ماقلته لاديب غير صحيح فاديب لايتركك ترجع سالماً وانه قاتلك لامحالة وهذه مسئلة دم يا اسعد فكن على حذر ثم لماذا توقع نفسك في هذه الورطة فيكون عليك الغرم ولغيرك الغنم . انا اعرفك طول حياتك طفران وعريان وها انت للآن كما انت ولم تستغن من الشيء الذي اخذته مقابل مداخلتك في هذه المسئلة المخطرة فانصحك ان تعترف لاديب بالحقيقة وتخلص نفسك والان ماذا تقول ؟

فافتكر برهة وقد اثر فيه كلامي ثم قال : انا مارايت خليلا في يافا وآخر عهدي به في عمان انه ذهب بعد العصر هو والشرطي عبد الرحيم ورجل آخر لااعرفه ولكنه افندي الى جهة دار البلبيسي وفي المساء عاد عبد الرحيم الى داره اما خليل فلم يرجع ..

وقد حاولت ان اعرف منه اسم الرجل الثالث فاصر على عدم معرفته ثم قال ولكن اديب لن يقدر على تسفيري الى يافا : فقلت له لابل يقدر بمساعدة الحكومة فقال :

ان المفوض قال لي لاتخف ياعنجراوي فاديب لن يستطيع اجبارك على السفر اذا امتنعت . وقد اكتفيت منه بهذا الكلام خشية من ان

يتنكر ومن مساء امس وانا ابحث عنك لاخبرك

— هل سألته عن اسم المفوض الذي ذكره

— انه يقصد بذلك عبد الرحمن ٠

رأيت ان الكلام معقول عند ماتذكرت المناقشة التي حصلت بيني وبين المفوض عبد الرحمن بخصوص تسفير العنجراوي وعدمه فقلت للحفني :

— من الضروري ان تدلى بشهادتك هذه لقائد الشرطة فما قولك ٠

— اذا طلبني القائد فسأشهد بما سمعت ٠

ذهبت الى دائرة الشرطة وكان القائد قد ذهب الى بيته فأخبرته بالتلفون بان لدي معلومات اريد الافضاء بها فاجاب بانه سوف يأتي للدائرة بعد ان يتناول طعامه (وكان شهر الصيام) فطرت في مطعم قريب ثم ذهبت لدائرة الشرطة فوجدت القائد قد اتى ، اخبرته بما قاله لي الحفني وطلبت سماع شهادته فاخبرني بان العنجراوي موقوف من ليلة امس في سجن الشرطة لان رجال الشرطة قبضوا عليه مع لفيف من المتشردين وهم يقامرون بالورق ثم انه امر مفوض المخفر تلفونياً باحضاره ولما ان حضر سأله القائد عما اعترف به لصالح الحفني فانكر ٠ احضرت صالح الحفني فشهد امام القائد بجميع اعترافات العنجراوي وكان العنجراوي واقفاً يسمع ولكنه اصر على الانكار فقلت له بعد الاستئذان من القائد :

— اذاً فانت مصر على انك رأيت خليلا في يافا .

— نعم ولكنك لاتستطيع ان تجبرني على السفر .

نظرت الى القائد نظرة معناها ان العنجرواي بامتناعه يؤيد ماجاء بشهادة الحفني عن كلام المفوض فاشار برأسه على انه قد فهم ماريد ثم امر بضبط افادتنا جميعاً واعادة العنجراوي الى محل التوقيف .

***

في ٢١—٢—٩٣٠ استدعاني قائد الشرطة وكلفني ان اكتب اليه ورقة اخبار بشكواي ومعلوماتي عن قضية اخي ، وبعد مراجعة مفكراتي وتدقيقها كتبت ورقة الاخبار المطلوبة وسلمتها اليه بتاريخ ٢٣—٢—٩٣٠ وهي كما يلي :

لسعادة قائد شرطة عمان المحترم .

بما ان الاجوبة التي تلقيتها من سعادتكم ومن سعادة حاكم مقاطعة القدس بخصوص البحث الذي اجريتموه في عمان وبقية انحاء شرقي الاردن عن اخي المفقود خليل بن اسعد رمضان لم يرد فيها مايدل على مغادرته عمان بعد تاريخ ٢٧ شباط سنة ٩٢٩ وحيث ان اختفائه وانقطاع اخباره منذ سنة رغم استفسارنا عنه من جميع الاماكن المحتمل ذهابه اليها مما يحمل على

الاعتقاد بانه ربما يكون مقتولا في عمان خصوصاً متى تذكرنا الحادثة التي سبق وقوعها بينه وبين يوسف واحمد وعبده وعلي اولاد الحاج سليمان البلبيسي بسبب علاقاته المعلومة مع شقيقتهم وهم الذين حملتهم الضغائن على الهجوم عليه وجرحه والشروع في قتله بينما كان نائماً في دار حسن خالد باشا رئيس الحكومة قبل اختفائه بمدة خمسة اشهر فقط . لذلك اتيت الى عمان منذ شهرين ونصف وبحثت عنه بنفسي وبعد السؤال من جميع معارفه واصدقائه وبعد الاستقصاء الدقيق توصلت الى الاقتناع بالنتائج التالية وهي :

١ — ان اخي لم يغادر عمان بعد استقالته من الشرطة اي بعد تاريخ ٢٧—٢—٩٢٩ وانه قتل فيها واخفى المجرمون جسده

٢ — ان الشرطي عبد الرحيم محمود الذي هو اقرب صديق للفقيد والذي كان الفقيد ضيفاً في بيته الى اليوم الذي اختفى فيه هو القاتل او انه شريكا للمجرمين في جريمة القتل .

٣— ان اسعد العنجراوي له علاقة في الجريمة وانه اذا لم يكن شريكا للقتلة فانه على كل حال يكتم معلومات لو افضى بها لدائرة الشرطة لانكشف السر وظهر المجرمون

٤ — ان الحاج سليمان البلبيسي واولاده شركاء في جريمة القتل او انهم الدافع الاصلي لارتكابها

٥ – انه قد كان مع اخي الفقيد مبلغاً يزيد عن ماية جنيه يحملهم في جيبه حين اختفائه

وايضاحاً لما ذكرته بخصوص عدم مغادرته عمان اقول انه بعد ان عاد من اجازته في فلسطين كتب الي من عمان رسالة موءرخة في ٢٧–٢–٩٢٩ جاءت فيها العبارات الآتيـة (استقلت من الجيش · انتظروا حضوري للقدس) بعد اسبوع اذا طال الامر · عرفني عن امكان دخول المدرسة – يقصد مدرسة بوليس القدس · الجواب ارسلوه بالسرعـة الممكنة حيث منتظر

ويوم وصول الكتاب المذكور اي في ٢٨–٢–٩٢٩ او ١ مارس ارسلت اليه جوابا اكدت عليه فيه بلزوم حضوره سريعاً وانتظرته فلم يحضر فكتبت اليه ثانياً وثالثاً بواسطة عبد الرحيم محمود الشرطي فلم يجب وكان كتابه المذكور آخر اخباره مع انه ليس من عادته ان يقطع عني المخابرة · وقد فهمت من محي الدين البيتماني صديق الفقيد على ان خليلا بعذ ان استقـال ذهب لدار حسن خالد باشا واخذ منه نقودا كانت مودوعة عنده وتعشى مع محي الدين ووعده بان يحضر في اليوم التالي ليتعشى عنده ايضاً ويهدي اليه صورته ولكنه لم يرجع واختفى على اثر ذلك ولم يعلم سبب اختفائه الفجائي وعلمت ايضاً من الشرطي السيد حافظ مرشد (الذي كان مستأجراً غرفة في نفس الدار التي كان الشرطي عبد الرحيم قاطنا فيها بوقت اختفاه

خليل) بانه علم من خليل بعد ان استقال بانه مصمم على السفر الى فلسطين فكلفه حافظ بأن يزوره قبل السفر ليعطيه رسالة ومبلغ ثلاثة جنيهات امانة ليسلمها الى ابيه وان خليلا وعده بالعودة اليه قبل سفره لاستلام الامانة ولكنه لم يعد بل اختفى فجأة . ولو افترضنا انه سافر بدون ان يعود على حافظ ومحيي الدين لاقتضى ان يظهر اسمه مقيداً في سجلات المسافرين ولكنه غير مقيد

. . .

وايضاحا لما جاء بخصوص اشتباهي في الشرطي عبد الرحيم محمود اقول اولا ان خليل وقت اختفائه كان ضيفاً في بيته وعبد الرحيم يقول بان خليلا اخذ امتعته وسافر بينما كان هو في محل الوظيفة وانه ترك له ورقه فاين الورقة المزعومة ؟ واين ترك له مفتاح البيت بعد ان اخذ امتعته ؟ انني بعد تاريخ ٢٧ شباط سنة ٩٢٩ ارسلت بواسطته سلسلة رسائل الى اخي فلم يعد لي منها سوى الكتاب المؤرخ في ١ مارس سنة ٩٢٩ وقد كتب على الظرف جملة واحدة هي (يعاد الى القدس) ولم يوضح اسباب اعادة التحرير اما الرسائل الاخرى فقد اخفاها وكتبت الى (عبد الرحيم) باسمه خاصة جملة رسائل طالباً منه ان يخبرني عن صحة خليل وعن سبب انقطاع اخباره فلم يرسل جواباً على الاطلاق فما سبب هذا السكوت ؟ ولماذا لم يخبرني بانه سافر كما اجاب في الشرطة ؟ والذي زاد اشتباهي في عبد الرحيم انه جلب لعندي اسعد العنجراوي الذي اراد تضليلي بافادته

الكاذبة كما سيأتي في الفقرة التالية وقد اقر العنجراوي الى صالح الحفني الغزي البيطار بعمان بانه كذب علي فيما قاله عن رؤيته خليل في يافا وان آخر عهده بخليل بعد ان استقال واخذ نقوده التي كانت مودوعة عند حسن خالد باشا ذهب هو وعبد الرحيم محمود وشخص آخر الى جهة دار البابيسي ولم يرجع معهما بعد ذلك ومن هذا يتضح ان عبد الرحيم هو الذي حمل العنجراوي على اعطاء بياناته الكاذبة ولو لم يكن مجرماً لما كلف نفسه تبعة اغراء العنجراوي على تضليلنا وعلاوة على ذلك فانني يوم ان اخبرني العنجراوي رأيتهما (عبدالرحيم والعنجراوي) يتحادثان على حدة ولما رآياني مقبل افترقا عن بعضهما لكي لا اراهما مجتمعين وهذا مما اكد لي بان بينهما سراً يتآمران بشانه.

وايضاحاً لما جاء بخصوص علاقة العنجراوي اقول : ان محاولته تضليلي بقوله لي في يوم ٢٠-١-٩٣٠ انه رآى خليلا في يافا منذ مدة اقل من اسبوع وانه نام عنده في منزله ليلتين وانه ساكن في المنشية بيافا ثم انكاره معرفة مسكنه عند ما استحضروه في الشرطة للمرة الاولى بناء على طلبي واخيراً اقراره لكم ولعبد القادر بك الجندي بانه يعرف مسكنه وانه في المنشية فهذا التناقض الذي حصل في افادته يدل على انها افادة كاذبة مدبرة وعلاوة على هذا فان شهادة صالح الحفني الذي شهد بان العنجراوي اعترف له بانه لم ير خليلا في يافا مما يثبت بانه مدفوع

للتضليل ، كما وان وجود العنجراوي كخادم في بيت عبدالرحيم في المدة التي اختفى فيها خليل مما يجعلنا نقول باحتمال اطلاعه على الجريمة المكتومة من حين وقوعها .

وبخصوص علاقة الحاج سليمان البلبيسي واولاده في جريمة القتل والاخفاء اقول : ان لدي رسالة كان ارسلها الي خليل بينما كان موقوفاً في سجن عمان لاجل قضية الفتاة المعلومة جاءت فيها الجمل الآتية (ان اهل البنت يدفعون كل مالهم لمن يقضي على حياتي والذي اكد لي ذلك احد اصدقائي المخاصين وقد وعدوه بخمسماية جنيه اذا فعل ذلك) ثم ان هجومهم عليه وجرحه وشروعهم في قتله وهو موظف في الشرطة وفي منزل رئيس الحكومة دليل على وجود تصميم سابق على قتله واذ عدم مجازاتهم على ذلك الجرم ، من العوامل التي تجعلهم يستهترون بسلطة الحكومة ويتجاسرون على القتل خصوصاً لما وجدوا المعاونة من صديقه وزميله الشرطي عبد الرحيم كما وان ماذكره العنجراوي عن ذهاب الفقيد مع عبد الرحيم الى بيتهم مما يوءيد هذا الظن .

اما وجود مبلغ يزيد عن الماية جنيه مع خليل برهة اختفائه فاسألوا عن ذلك الشرطي سليم شما والشرطي رقم ٣٨ واسألوا محي الدين البيتماني سفره‌جي حسن خالد باشا ووجود مثل هذا المبلغ في جيبه مما يغرى ادنياء النفوس على الطمع وارتكاب جريمة القتل خصوصاً اذا وجدوا من يعطيهم

مكافأة مالية اخرى .

هذا ما استطعت بيانه وارجوكم ان تجعلوني على اتصال دائم بسير التحقيق فلربما اقتضى ان ازيدكم ايضاحاً من مفكراتي ومحفوظاتي اثناء جريان التحقيق مع المتهمين واقبلوا فائق الاحترام مولاي .

في ٢٢—٢—٩٣٠ اديب رمضان

وفي اليوم التالي قابلت عبد القادر بك واعطيته نسخة ثانية عن ورقة الاخبار هذه للاطلاع ولما علم مني ان العنجراوي لم يرسل الى يافا للآن ابدى استغرابه وقال ان بهجت بك استلم النقود وامراً خطياً بتسفيره فلماذا اخره ؟ ثم كلمه بالتلفون .

في صباح ٢٤—٢—٩٣٠ سألت بهجت بك قائد الشرطة :

— متى سترسلون العنجراوي الى يافا ، هل من سبب اوجب تأخيره ؟

— نعم لقد كتبت الى المدعي العام بشأن تسفيره الى يافا قبل اجراء محاكمته بموجب قانون المتشردين وانني في انتظار الجواب .

— وعبدالرحيم ! اليس من الموافق الاحتياط بمراقبته خوفاً من فراره اذا ما علم بسفر العنجراوي ليافا وقرب انكشاف امره ؟

— لقد ابعدته الى المحطه لكي لا يشعر بما يجري هنا وجعلت وظيفته

ان يسافر دائماً مع القطار الى درعا ذهاباً واياباً لقيد اسماء المسافرين

– ولكن في هذه الحالة يمكنه الفرار بسهولة يا سيدي !

– كن مطمئناً فسوف لا يفر ...

الحقيقة اني عجبت ، كيف ان شرطياً مظنوناً بمادة قتل يرسل الى مخفر بعيد عن المركز ثم تسند اليه وظيفة السفر مع القطار الذاهب لخارج الحدود ولكنني قلت في نفسي لربما ان القائد محتاط للامر مع ان هذا التساهل لايدل على احتياط

وفي الساعة التاسعة من مساء هذا اليوم التقيت بحامد باشا الوادي رئيس ديوان الامير وكان آتياً من قصر الامير وذاهباً الى بيته فمشيت معه وقلت له :

لقد عثرنا على دلائل اقنعتني بان اخي خليلا قد قتل في عمان وارى يا صاحب السعادة ان جزءاً من التبعة المعنوية للجريمة يقع على عاتق سمو امير البلاد فقال :

– كيف ذلك ؟

– ان العفو الذي اصدره عن البلابسة بعد ان جرحوا اخي واغتصبوا مسدسه الذي هو من سلاح الحكومة وانتهكوا حرمة دار رئيس الوزارة قد شجعهم على قتله واخفاء جسده ، ولم تفعل الحكومة شيئاً لا كتشاف الجناية رغماً عن علمها باختفائه منذ سنة ولولا حضوري

الى عمان لظل الامر مكتوماً الى الابد !

— الامير عفى عن حسن نية بقصد التوفيق بينهم .

— هذا صحيح ولكن الغاية انعكست والان قد ارشدت الشرطة الى طريق الجناية فاذا سارت الى نهاية الطريق لابد من معرفة القتلة ولكنني منذ الان اخشى ان يصدر في المستقبل عفواً جديداً وهذا ما اردت ان الفت نظركم اليه !

— هذا كلام لم يأت وقته بعد !

— حسن . ثم ان الجثة لاتزال مفقودة ومن السهل اخفائها الى الابد وانني لم ار بين رجال الامن ورجال التحقيق موظفاً توفرت فيه الكفائة والنزاهة لجمع الادلة الكافية لاثبات الجناية واريد ان اقدم للامير طلباً لاستحضار خبير في التحقيقات الجنائية من فلسطين فما هو رأيكم ؟

— انا اعرف بان الامير لايوافق على هذا الطلب

كنا نتحادث ونحن متجهين نحو داره فلما وصلنا الى نقطة مقابلة لدار بهجت بك قائد الشرطة قابلنا الشرطي عبد الرحيم محمود نازلاً عن الدرج المؤدي لدار القائد وعند مروره عنا سلم ومشي في طريقه فقلت للباشا : هذا واحد من المتهمين ..

والذي اردت ان انبه القارئ اليه هو وجود عبد الرحيم في دار القائد في تلك الساعة المتأخرة من الليل مع العلم بان مركز وظيفته في

المحطة التي تبعد عن عمان اربعة كيلو مترات و كسور فما الذي حمل القائد على طلبه في تلك الساعة ؟ ولماذا لم يطلبه الى الدائرة الرسمية ان كان الامر يتعلق بعمل رسمي ؟ ولماذا طلبه وحده ؟؟

واذا اضفنا الى هذا معرفتنا بان الشكوى تسلمت لقائد الشرطة نهار امس وتوقيف عبد الرحيم كان في الليلة التالية فما الذي يمكننا ان نستنتجه من هذه الزيارة الغريبة ؟؟

* * *

بعد عصر يوم ٢٥—٢—٩٣٠ استدعاني قائد الشرطة الى مكتبه بواسطة شرطي ارسله الي فلما دخلت المكتب رأيته يتمشى ذهاباً واياباً كمن يفكر في امور هامة فاذن لي بالجلوس وجلس خلف منضدته وقال وهو يبتسم كالظافر :

— ارأيت كيف ان التأني مع الحزم يوصلان الانسان الى مايريد لقد اعترف اسعد العنجراوي الان بان الذي دفعه الى تضليلك هو الشرطي عبد الرحيم محمود وانه اعطاه مقابل ذلك عشرة قروش فلسطينية رشوة

— اليس هذا ما كنت اظنه يابهجت بك ؟ ولكن بعشرة قروش ؟ ان ثمن الصفقة ضئيل ومخزي ، قاتل الله الفقر ولكن كيف امكنكم

حمله على الاعتراف ؟

— اخرجته من السجن وامرت شرطيا ومفوضاً برافقته مخفوراً الى يافا على ان يرشدهما الى خليل او الى داره اويعودا به مكبلا لعمان واوقفت السيارة على باب الدائرة لاركابهم ولما ان بلغت ذلك للعنجراوي والقيت التعليمات على المفوض وهو يسمع اظهر امتناعه عن السفر فامرت بوضع الحديد في يديه ولما رأى ان لامناص من السفر اعترف لي بان الشرطي عبد الرحيم محمود اعطاه عشرة قروش وكلفه بان يذهب معه الى عندك ويقول لك ماقاله عن وجود اخيك في يافا ، كان اعترافه بحضور بعض رجال الشرطة وقد امرت بضبط افادتهم عن ذلك

— اشكر همتكم فهل امرتم بتوقيف الشرطي عبد الرحيم ومباشرة التحقيق بشأنه ؟

— انه الآن مسافر مع القطار الذي سافر الى درعا وسيعود في المساء الى المحطة وقد امرت مفوض المحطة بان يلقي عليه القبض حال وصوله ويرسله الى المركز لاستجوابه وتوقيفه ..

اردت ان سأل القائد عن سبب مجيء المتهم عبد الرحيم في الليلة الماضية الى بيته ولكنني خشيت ان يكون في سؤالي مايجرح عواطفه ففضلت السكوت واستأذنته وانصرفت وانا اتهم نفسي بالغلو في سوء الظن بالناس .

***

انتظرت حلول الساعة الثامنة مساء التي هي موعد وصول قطار درعا الى محطة عمان بفارغ الصبر وكنت انوسل الى الله تعالى بان لايعلم عبد الرحيم باقرار العنجراوي قبل ان يقبض عليه خشية من فراره اذا علم وقد تأخر القطار قليلا عن موعد وصوله واخيراً وصل القطار فقبض على عبد الرحيم وارسل الى المركز على سيارة يخفره شرطيان وكان وصوله الى مركز الشرطة في منتصف الساعة التاسعة فادخل في الحال الى مكتب قائد الشرطة وباشر القائد ومساعده راضي بك باستجوابه ولبث الى الساعة الحادية عشرة وفي خلال ذلك امر القائد باستدعاء مفوض المركز عبد الرحمن لتأدية شهادة فادلى بشهادته وعبد الرحيم جالساً ثم خرج مع عبد الرحيم ووقفا عند باب المكتب وظل القائد مع مساعده في مذاكرة خاصة مقدار عشرة دقائق ثم خرج فقال القائد لمفوض التحقيق نديم افندي خذ عبد الرحيم واوقفه وبعد ان ذهب به امر القائد مفوض المركز بمنع عبد الرحيم عن الاختلاط بالعنجراوي وان لايكلمهما احد من الخارج وقد سألت القائد عما حصل فقال لي بان عبد الرحيم مصر على انكار ما اعترف به العنجراوي ولكنه قد وجد تبايناً بين افادته السابقة وافادته التي ضبطت هذه الليلة فقد قال فيما مضى بان خليلا اخذ من بيته خمسين خرطوشة مسدس فقط اما الان فقد زعم بانه اخذ له علاوة على الخمسين خرطوشة جملة امتعة وتجهيزات اخرى وان هذا التباين استوجب توقيفه

وبعد ان ذهب القائد قابلت نديم افندي مفوض التحقيق الذي لم يحضر استجواب عبد الرحيم لعلمي ابان اوراق التحقيق ستودع اليه وقد اوصيته بصورة خصوصية بان لايترك للمفوض عبد الرحمن افندي سبيلا للاطلاع على الاوراق وقد آنست فيه الغيرة والحرص على استجلاء غوامض القضية وكان ظني في محله .

لا انكر بان الادلة ضعيفة ولكننا على كل حال قد عثرنا الان على مفتاح السر واصبح لنا الحق ان نجزم بوقوع الجريمة انما يحتاج الامر الى بذل الجهود اللازمة لكشف الحجاب عن بقية المجرمين ومعرفة كيفية وقوع الجناية وتفاصيلها وهل من شركاء لعبد الرحيم الذي قد وضحت علاقته باعتراف العنجراوي ، ثم هل سيعترف عبد الرحيم بالحقيقة وباسماء شركائه اذا كان له شركاء ؟ انه لم يعترف في الاستنطاق الذي استمر ثلاث ساعات متواليات وانني من الان استطيع الجزم بانه لن يعترف فهو بطبيعته صلب جامد الى اقصى درجات الجمود والتصلب ؛ فالرجل الذي لم يجبني سلبا او ايجابا على رسائلي المتوالية التي ارسلتها اليه من القدس والذي لم يكلف نفسه عناء مقابلتي مدة شهرين بعمان لديه القوة المعنوية الكافية لان يستمر في كتمانه الى النهاية خصوصاً وانه لايوجد لدينا شاهد يؤيد اعترافات العنجراوي عن ان عبد الرحيم أغراه على التضليل واعطاه القروش العشرة . واعتراف العنجراوي وحده لايكفي للاثبات

القطعي على شريكه نعم ان لدينا ادلة قياسية اخرى وهي وجود الفقيد ضيفاً في دار عبد الرحيم برهة الاختفاء وتباين افادة عبد الرحيم في تعداد الاشياء التي زعم بان الفقيد اخذها من بيته وباضافتها الى شهادة المنجراوي تكفي لاقناعنا باتهام عبد الرحيم ولكن هل هي كافية لاقناع القضاة ؟ لاشك في اننا نحتاج الى دلائل اخرى واظهار هذه الدلائل يحتاج الى نشاط ومهارة المتولين امر التحقيق ونزاهتهم وسنرى مايكون .



الفصل الثامن

أجناية اخرى بسببها ؟

ان عمان بلدة صغيرة بالقياس الى العواصم والمدن والخبر ينتشر فيها بسهولة وقد انتشر خبر توقيف الشرطي عبد الرحيم وشريكه العنجراوي بتهمة اغتيال الشرطي خليل اسعد رمضان في البلدة ولغطت الالسن بذكر حادثة خطف بنت البلبيسي وما تلاها من الوقائع التي حصلت بسببها وفي اليوم التالي مررت على السيد صالح الحفني الذي كنت انتدبته لالتقاط الاخبار وتطوع لها بدون ان ينتظر على ذلك اجراً فدعاني الى دخول بيته وبعد ان قدم لي قدحاً من الشاي واشعل مداعته (نارجيلة) قال :

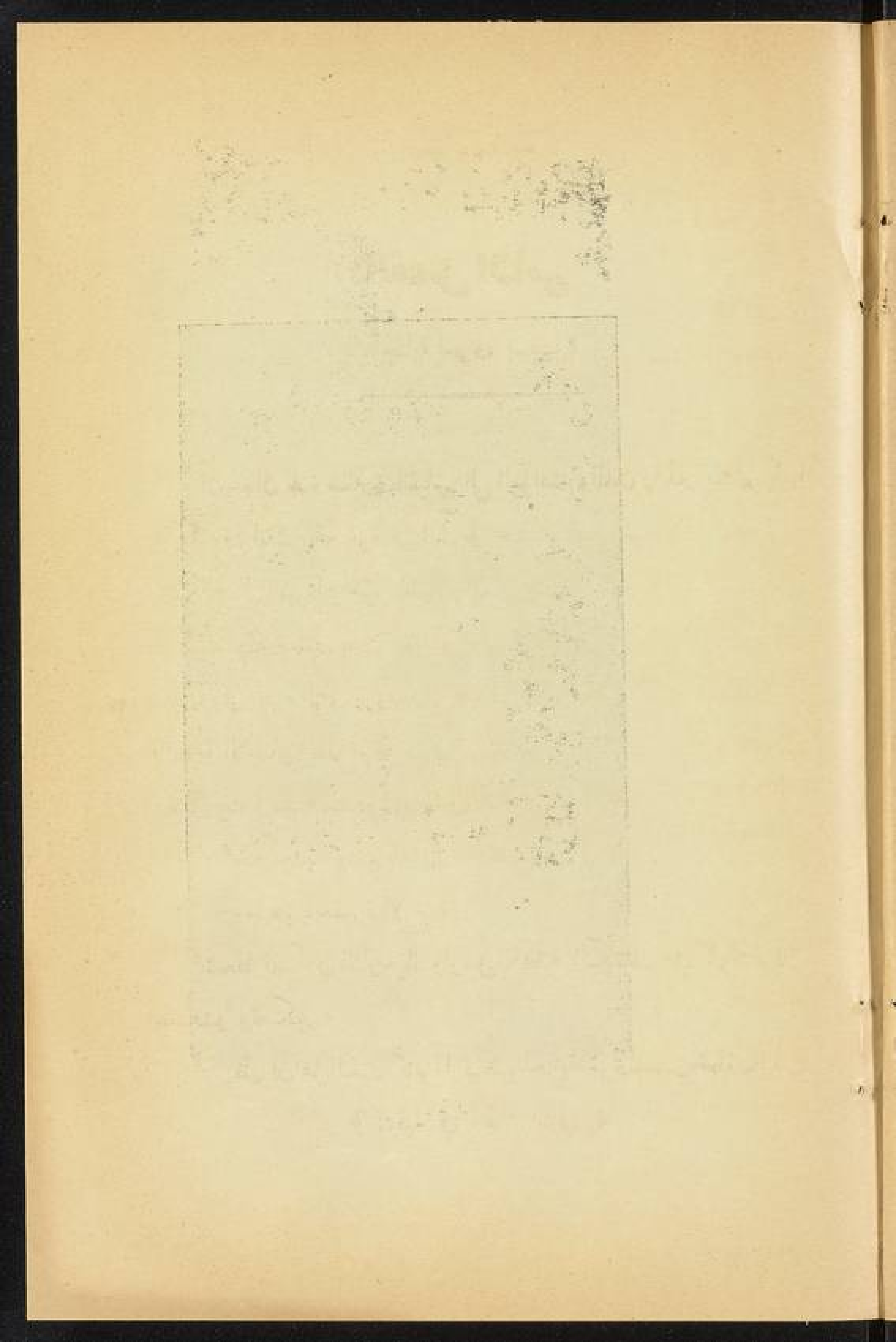
— خبر جديد ومهم يا اديب افندي

— وما هو ياحضرة الاخ ؟

شحط نفساً من النارجيلة وارسل دخانه الكثيف في الهواء ثم قال بعد هدوء وتفكير :

— يظهر ان اهل البنت كانوا ارتكبوا اجناية اخرى بسبب خطف البنت

« البقية في الجزء الثاني »





اديب رمضان



عبد الله ابن الحسين

امير شرقي الاردن الخاضعة للانتداب الانكليزي والذى له الفضل في ضم شرقي الاردن لادارة المندوب السامي البريطاني بفلسطين

